محمود شاكر

الفرس و الروم

و دورهم المشبوه عبر التاريخ

دار الثقافة للجميع

الفرس والروم
ودورهم المشبوه عبر التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ سورة غافر: ٦٩ – ٧٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م

دار الثقافة للجميع

دمشق : ص .ب : ١٢٠١٦ - هاتف وفاكس ٤٤٥٦٦١٦ - جوال : ٠٩٤٤٩٨٤٤٣٢

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن بعض الناس في هذه الحياة يسلكون طُرُقاً مُعْوَجَّةً لا وضوح فيها ولا استقامة، ولا خير ولا سلامة، ولكنهم يرون فيها المغانم والأعمال، والأطماع والآمال إذ فيها المنصب والصدارة، أو المال والمكانة، أو الشهوة والسعادة، لذا فهم يحرصون عليها، ويُدافعون عنها بمختلف الوسائل والأسباب.

يُدوّنون الادّعاءات، ويفترون الأكاذيب، ويدّعون الأحداث، ويُلفّقون القصص، ويُشيعون ذلك بين العامّة، ويُسجّلون كتباً خاصةً تحوي على ذلك كلّه، ويحفظونه للتاريخ في المستقبل بعد أن تمضي الأيام ويذهب أهل الزمان، وتُنسى الأحداث، وتسود عن الماضي حكايات وادّعاءات لا تَمُتُّ إلى الحقيقة بصلةٍ وإنما لها غاية وهدف، ويُردِّد ذلك أصحاب تلك الطرق المعوّجة، ورجال الأطماع، وأهل الغايات، وأعوان الأعداء، الأعداء الذين يسعون إلى الاستعمار، وبسط النفوذ، وأخذ الخيرات، واستعباد السكان، وكسب الأعوان.

وهذا ما مرّ على البلاد التي أكرمها الله ببعث الأنبياء والرسل إليها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ سورة الإسراء.

وهذا ما جعل أعداء الله يدخلون هذه المنطقة المباركة، ويعيثون فيها الفساد، ويكونون أعوان المستعمرين، وأيدي الكفار، ويقومون بأبشع الجرائم، وأقذر الرذائل.

ولهذا كلِّه كان من واجب أهل العلم والمعرفة، وأصحاب التاريخ والحقيقة تبيان ما أُسدل عليه الغطاء بادّعاء الأكاذيب والتسجيلات، وترديد الافتراءات بل والإضافة عليها لتحقيق مايريده أعداء الأمة وعقيدتها.

فنرجو من الله الكريم المعطاء أن يُلهمنا الصواب، والصدق بالقول، والإخلاص بالعمل، والحُسن بالنيّة، والأجر على الفعل.

اللهم اهدِنا فيمن هديت، وعافِنا فيمن عافيت، وتولّنا فيمن تولّيت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، وقِنا واصرف عنا شرّ ما قدّرت وقضيت فإنك تقضي بالحقِّ ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذلّ من واليت، و لا يعزّ من عاديت تباركت ربنا وتعاليت فلك الحمد على ما قدّرت وقضيت، نستغفرك اللهم ونتوب إليك، ونُؤمن بك ونتوكّل عليك، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قبل الإسلام

قبل انتشار الدعوة الإسلامية كان يحكم البلاد التي تُحيط بالمنطقة التي أكرمها الله ببعثة الأنبياء والرُّسُل فيها دون سواها دولتان كبيرتان، وهما: إمبراطورية الروم الشرقية (بيزنطة)، والإمبراطورية الفارسيّة، وتُعدُّ هاتان الإمبراطوريتان من كُبريات الدول في العالم، وكانت تدين أولاهما بالنصرانية، وتدين الثانية بالمجوسية وهي إحدى الديانات الوثنية في ذلك العصر.

وكان المناذرة من العرب يُقيمون في بلاد العراق، ويتبعون الفرس، وكانت قاعدتهم (الحِيرة). أما الروم فكان يخضع لهم من العرب الغساسنة في بلاد الشام، وكانت قاعدتهم بلدة (بُصرى)[1] أولاً، ثم (جِلّق)[2].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) بُصرى: (بصرى اسكي شام) تقع اليوم قرب الحدود السورية - الأردنية. إلى الشرق من مدينة درعا، وعلى بُعد ٧٥ كيلو متراً منها.

(٢) جِلّق: شمال شرقي دمشق وعلى بُعد تسعة كيلومترات منها، موقع بلدة (حرستا) اليوم.

أيام الإسلام

بُعث محمد، صلى الله عليه وسلم، في ١٧ رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة (الأول من شهر شباط ٦١٠ م)، وكان قد بلغ، عليه الصلاة والسلام، الأربعين من العمر، وقد حمل الأمانة، وبدأ يُؤدّي الرسالة فيدعو قومه. وكانت الدعوة سرّيةً، وقد قَبِل الدعوة في تلك المرحلة ثمانية وأربعون رجلاً، واثنتا عشرة امرأةً. من وجهاء قريش وأبنائهم، ومن موالي وحلفاء.

ثم كان الجهر بالدعوة بعد ثلاث سنواتٍ من الدعوة السرّية.فأخذت الدعوة بالانتشار، وزاد ضغط قريشٍ على المسلمين، فهاجر عدد من المسلمين إلى الحبشة.

وهاجر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الطائف ليجد قاعدةً للدعوة، ولكنه لم يجد ضالّته في قبيلة ثقيف صاحبة الطائف فرجع إلى بلده مكّة.

أخذ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج، فبايعه عشرة من الشباب من مدينة يثرب بعد أن التقوا به في موقع العقبة، وأعلنوا إسلامهم، وذلك في السنة الثانية عشرة للبعثة، ووعدوه باللقاء

في الموسم القادم في العقبة في المكان الذي تمّ فيه اللقاء الأول، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، معهم مصعب بن عمير، رضي الله عنه.

وكان الموسم التالي سنة ١٣ للبعثة، وكان اللقاء في العقبة، وكانت بيعة العقبة الثانية، ورجع أهل يثرب إلى مدينتهم، وكان عددهم ثلاثةً وسبعين رجلاً من الأوس والخزرج، ومعهم امرأتان هما: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو. وأعلن مسلمو يثرب الإسلام في مدينتهم.

اشتدَّ أذى مشركي أهل مكة على من أسلم في بلدهم بعد أن علموا بالحلف الذي تمَّ بين رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورجال أهل يثرب في بيعة العقبة الثانية، فأمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المسلمين في مكة بالهجرة إلى إخوانهم في يثرب، فأخذوا بالهجرة، والاجتماع هناك، وأُذن لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالهجرة إلى يثرب، فهاجر مع الصدّيق أبي بكرٍ، رضي الله عنه، فوصلا إلى قِباء (أول يثرب) قبيل الظهر من يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول في السنة الثالثة عشرة للبعثة.

عُرفت (يثرب) بعد وصول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إليها باسم (المدينة المنورة)، ونشأت فيها ديار الإسلام، وعمّت المحبّة والمؤاخاة المجتمع الإسلامي، وبدأت الدعوة الإسلامية، وأخذت بالانتشار والتوسّع، وفي الوقت نفسه ظهرت دار الحرب، إذ وقف الأعداء من يهود ومشركين في وجه انتشار الدعوة.

وكان على المسلمين أن يُخضِعوا الأعراب الذين يعيشون حول المدينة والذين يُحالف بعضهم أهل المدينة، وإخضاع هؤلاء الأعراب حتى لا يكونوا أعواناً للأعداء الخارجين.

ظهرت جبهة داخلية ضدّ المسلمين، وفيها اليهود، والمنافقين، والأعراب المشركين.

وكان أول صدام مع قريشٍ عدوِّ المسلمين الأول، والتي كانت تسعى جاهدةً للقضاء على الإسلام حينها، فكانت تحبس المستضعفين من المسلمين في مكة، وتحول دون التحاقهم بالركب الإسلامي في المدينة المنورة.

وكانت قريش تُشكّل مجتمعاً تجارياً ينتقل أفرادها إلى الشمال وإلى الجنوب برحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن وإلى الشام. فكان التّماس بين الفريقين أثناء الرحلات، فكان على المسلمين معرفة المناطق التي تمرّ منها القوافل معرفةً جيدةً، ومعرفة الأعراب الذين في تلك المناطق، وفعلاً خرجت عدة فرقٍ استطلاعية لهذه المناطق فكانت أربع غزواتٍ وثلاث سرايا في السنتين الأولى من الهجرة، وأعقبها غزوات أخرى وسرايا ثانية حقق المسلمون فيها النصر.

وحاول بعض الأعراب الإغارة على المدينة، ولكنهم جاءهم الغزو من المسلمين فكبح جماحهم، وقام بعضهم بالإغارة لكنهم رُدّوا ورجعوا منهزمين خائبين.

وجرت محاولة للقضاء على الدولة الإسلامية الأولى، ولكن باءت المحاولة بالفشل، وهُزم الذين قاموا بالمحاولة، وكانت أيدي يهود والمنافقين تلعب بالإثارة وتُؤدّي دورها.

ووصلت غزوات المسلمين إلى قرب مكة جنوباً وإلى دومة الجندل شمالاً، وإلى ضواحي نجد شرقاً، وحقّق المسلمون انتصارات هامّة، إذ أُخرج اليهود من المدينة مستسلمين بعد أن هُزموا. وفتح المسلمون مدينة اليهود (خيبر)، كما فتحوا مكة، وهدأت قريش عن حركاتها ووصل المسلمون إلى تبوك حيث

سمعوا بخبر تَجمّع الروم في تبوك والعمل على غزو المدينة، ولما وصل المسلمون إلى تبوك لم يجدوا أثراً للروم، إذ غادروا المنطقة بعد أن سمعوا بقدوم الجيش الإسلامي حيث كانوا قد عرفوا قوة المسلمين إثر غزوة مُؤتة[١] سنة سبعٍ للهجرة.

حقّق المسلمون انتصاراتٍ كثيرةً، وانتشرت الدعوة الإسلامية واتّسع مجالها غير أن ذلك كان دون الأمل المنشود وأقلّ من البشرى المأمولة. وذلك لأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عندما انطلق من مدينة مكة مُطارَداً، خائفاً يترقّب، مُهدَّداً بالقتل، مُعرَّضاً للأسر، ولكنه كان واثقاً من نصر الله وتأييده إلى أبعد الحدود، فعندما أدركه سُراقة بن مالك يريد ردّه إلى قريشٍ، قال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم: يا سُراقة ما رأيك بسواري كِسرى؟ وهو في تلك الحالة يُمنّي الذي يُلاحقه بانهيار أكبر إمبراطوريةٍ آنذاك، وهي إمبراطورية فارس، وأن يأخذ ذلك البدويّ من بني مُدلج الذي يطمع بمائة ناقةٍ من قريشٍ مُقابل ردّ رسول الله أن يجلس مكان كسرى، وأن يلبس سواريه... ولقد صدق الله وعده ونصر عبده.

توفي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، فولادته، وهجرته، ووفاته، صلى الله عليه وسلم، في اليوم نفسه.

وتولى الخلافة الإسلامية بعد وفاة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أبو بكر الصدّيق، رضي الله عنه.

(١) مؤتة: مدينة في جنوبي بلاد الشام، في منطقة معان جنوبي الأردن.

كان الفرس يقفون في وجه الدعوة الإسلامية، ويدعمون كلَّ من يتصدّى لها أو يُعارضها، فكان لا بُدّ من قتالهم، وكان لا بُدّ من الجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام، وتوسعة مساحة الدعوة.

طلب المثنّى بن حارثة الشيباني من الخليفة أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه، بعد أن انتهى من حروب الرِّدَّة إعطاءه إمرة قومه بني شيبان ومن دان بالإسلام في تلك الجهات للجهاد في سبيل الله بقتال الفرس وأعداء الله. فأمّره أبو بكرٍ، رضي الله عنه.

انطلق المثنّى بن حارثة يُغير على الفرس، ويُحقّق النصر في موقعةٍ بعد أخرى حتى اتّسع الميدان عليه فطلب النجدة من الخليفة.

أرسل الخليفة الصدّيق، إلى خالد بن الوليد، رضي الله عنهما، الذي كان قد انتهى من حروب الرِّدَّة في اليمامة يأمره بالتوجّه إلى العراق لدعم المثنّى بن حارثة الشيباني، وأمره أن يدخل العراق من الجنوب، وفي الوقت نفسه أمر الخليفة، رضي الله عنه، عياض بن غنم أن يدخل العراق من أعلى من جهة الغرب، وليكن لقاؤهما في مدينة الحيرة، ومن سبق إليها كانت له الإمرة، وأمدّ أبو بكر، رضي الله عنه، كِلا القائدين بنجدةٍ.

وصل خالد بن الوليد، رضي الله عنه، إلى الحيرة – وأميرها من قبل الفرس هانئ بن قبيصة الطائي – فقال له خالد، رضي الله عنه: إني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته، وإلى الإسلام، فإن قبلتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد جئناكم بقومٍ يُحبّون الموت كما تُحبّون أنتم شرب الخمر. فقال هانئ: لا حاجة لنا في حربكم، فصالحه على تسعين ومائة ألف درهمٍ.

كان المثنّى بن حارثة يُقاتل الهرمُزان في جهات الأُبُلَّة[١]،فدعاه خالد بن الوليد مع بقية القادة للعمل على جمع المسلمين، وضرب لهم موعداً في الحفير. وقد التقى المسلمون مع الفرس في جهات الأُبُلّة. وأراد قائد الفرس هُرمُز أن يغدر بخالد بن الوليد، غير أن القعقاع بن عمرو التميمي أسرع إلى هُرمُز وقتله، وجرت معركة ذات السلاسل بين الفريقين وانتصر فيها المسلمون.

وانتصر المسلمون بقيادة خالد بن الوليد على الفرس في معارك (المذَار[٢]) و(الوَلَجة[٣]) و(أُلَيِّس[٤])، وفتحوا جنوبي العراق، وساروا مع نهر الفرات حتى وصلوا إلى (الرِّضاب[٥]) على مقربةٍ من الرصافة في بلاد الشام.

وجاء أمر الخليفة أبي بكر الصدّيق، إلى خالد بن الوليد، رضي الله عنهما، بمغادرة العراق والتوجّه إلى الشام، ودعم الجيوش الإسلامية هناك، وتسلّم قيادتها، فانتقل خالد بن الوليد إلى الشام، ووصل إلى اليرموك قبل بدء المعركة.

إن الأوامر التي أعطاها الخليفة أبو بكر الصدّيق، رضي الله عنه، لجنده بالانسياح نحو الشرق، والعمل على نشر الإسلام، والدعوة إليه، وقتال الفرس المجوس الذين وضعوا أنفسهم وإمكاناتهم كلّها ضدّ الإسلام. هذه الأوامر، وتلك الانتصارات التي أحرزها المسلمون هي التي جعلت الصدّيق

---

(١) الأُبُلَّة: بلدة على نهر دجلة شمال بلدة البصرة.
(٢) المذَار: بلدة تقع على ضفة نهر دجلة اليسرى شمال بلدة القرنة حيث يلتقي نهرا دجلة والفرات بسبعةٍ وثلاثين كيلو متراً، وهي غير قائمة الآن لكنها قريبة من بلدة قلعة صالح.
(٣) الولجة: تقع وسط سواد العراق، قريبة من (كسكر).
(٤) أُلَيِّس: بلدة غير قائمة الآن، وكان موقها في أول أرض العراق من جهة البادية.
(٥) الرِّضاب: موقع قريب من بلدة الرصافة التي تقع في بلاد الشام جنوب نهر الفرات بأربعين كيلو متراً جنوب فربي مدينة الرقة التي تقع عند التقاء نهر البليخ مع نهر الفرات.

هدفاً لسهام أولئك المتعصّبين للفارسية والمجوسية، وإن أظهروا الإسلام بعد أن أخضعهم السيف، وأخذوا يفترون الأكاذيب ضدّ الصدّيق، تحت عنوان الإسلام، ليكون الكلام أقرب إلى القبول، وليكون السلاح أكثر مضاءً. هذا مع العلم أن الشعوب المسلمة عادة تحترم القادة المسلمين الذين فتحوا بلادها حيث أوصلوا إليها الإسلام، وحملوها على طريق الهداية والرشاد، وأنقذوها من الضلالة والغواية والمجوسية، وتنظر نظرة تقديرٍ وإكبارٍ إلى الخلفاء الذين بعثوا بأولئك القادة للفتح حيث كانوا فيها قبل الإسلام.

وتوفي أبو بكر الصدّيق، رضي الله عنه، يوم الإثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من الشهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة.

وكان قبل وفاته، رضي الله عنه، قد دعا عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فقال له: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما دعا به أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويُصدِّق الكاذب، إني أستخلف عليكم بعدي... وأخذته غشية قبل أن يُسمّي أحداً -. فكتب عثمان، رضي الله عنه: إني أستخلف عليكم بعدي عمر بن الخطاب... ثم أفاق أبو بكر الصدّيق، رضي الله عنه، فقال: اقرأ عليَّ ما كتبت. فقرأ عليه ذكر عمر. فكبّر أبو بكر، رضي الله عنه، وقال: أراك خِفتَ أن تذهب نفسي في غشيتي تلك فيختلف الناس، فجزاك الله عن الإسلام خيراً، والله إن كنت لها لأهلاً. ثم أمره أن يُتمّم، فأملى عليه: فاسمعوا وأطيعوا، وإني لم آلُ الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً. فإن عدل فذلك ظنّي به، وعلمي فيه، وإن بدّل فلكل امرئٍ ما اكتسب، والخير أردت،

ولا أعلم الغيب، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[1] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم أمره فختم الكتاب، وخرج به مختوماً ومعه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأُسَيْد بن حُضَيْر، رضي الله عنه، وأشرف أبو بكر، رضي الله عنه، من كُوّته، فقال: أيها الناس إني قد عهدت عهداً، أفترضونه؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله، صلى الله عليه وسلم. فقام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر.

فأقرّوا بذلك جميعاً، ورضوا، ثم بايعوا، فرفع أبو بكر، رضي الله عنه، يديه وقال: اللهم إني لم أرِدْ بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، فعلمت فيهم ما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيي فولّيت عليهم خيرهم، وأقواهم عليه، وأحرصهم على ما يُرشدهم، وقد حضرني من أول ما حضر، فاخلفني فيهم، فهم عبادك، ونواصيهم بيدك، فأصلح لهم أميرهم، واجعله من خلفائك الراشدين يتّبعُ هدي نبيّ الرحمة، وهدي الصالحين بعده، وأصلح له رعيته. ثم دعاه فأوصاه.

وبذا استخلف أبو بكر، رضي الله عنه، بعد مشاورة من كان يستشيرهم عادةً رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧.

الصراع في المنطقة

كانت في تلك الأيام في المنطقة دولتان كبيرتان تحتلّ كل منهما مساحاتٍ واسعةً من الأرض، وتملك عتاداً ضخماً، وتتصارعان بعضهما مع بعضٍ وتُعدّان من كبريات الإمبراطوريات في العالم، وتلكما دولتا فارس والروم، وكلتاهما لها نفوذ في بلاد العرب، فالدولة الفارسية قاعدتها إمارة المناذرة، ودولة الروم قاعدتها إمارة الغساسنة، إضافةً إلى أعوانٍ كأفراد يسعون وراء مصالحهم، ويُقدّمون الخدمات لسادتهم.

ينتصر الفرس تارةً ويتقدّمون نحو الغرب، وتارةً أخرى يُعيد الروم الكرّة على الفرس، ويستعيدون ما فقدوا بل ويأخذون أراضٍ جديدةً.

كانت أمم الأرض تخشى هاتين الدولتين، وترهبهما أكثر الشعوب المجاورة خوفاً من البطش بها أو استعبادها وإذلالها، ومن هذه الشعوب العرب الذين تقع بلادهم على طرفي هاتين الدولتين بل في ساحة الصراع بينهما، لذا وُجد من العرب من يُوالي الفرس، بل ويكون الحارس لهم على الجبهة بل خادماً لهم يردّ عنهم غارات الأعراب، ويُؤدّبهم إذا اقتضى الأمر، أو يأتي بأمرائهم صاغرين ليَمْثُلوا أمام الأكاسرة، ويضمنون لهم رغباتهم وما يريدون، أولئك هم المناذرة

اللخميون سادة (الحيرة) وأمراؤها. ومن العرب من كان يُوالي الروم، يحمي لهم جبهتهم على فارس، ويُقاتل لهم قومه من العرب أعوان الفرس، ويدفع شرّ البدو، ويضربهم إذا دعت الحاجة، ويحمل للقياصرة من استعصى أو تطاول عليهم من زعماء العرب، أولئك هم الغساسنة من اليمانية سادة (جِلّق) في ضواحي دمشق، وأمراء (بُصرى) من قبل.

كان الفرس والروم على حدٍّ سواء ينظرون إلى العرب نظرة صَغارٍ وامتهانٍ، وربما يبدو هذا جَليّاً في كلام ملك الفرس (يزدجرد) أمام وفد الجيش الإسلامي قبل معركة القادسية وجواب (المغيرة بن زرارة الأسيدي) له، حيث قال (يزدجرد): إني لا أعلم أمةً في الأرض كانت أشقى، ولا أقلّ عدداً، ولا أسوأ ذات بينٍ منكم.قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونا أمركم. لا تغزون فارس، ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عدد منّا لحق بكم فلا يَغُرّنّكم، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خِصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناهم، ومَلّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم... فأسكت القوم. فقام المغيرة بن زُرارة بن النبّاش الأسيدي فقال: أيها الملك: إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنما يُكرم الأشرافُ، وليس كل ما أُرسلوا به جمعوه لك، وليس كل ما تكلّمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسنوا بمثلهم إلا ذلك، فجاوبني لأكون الذي أُبَلِّغُكَ، ويشهدون على ذلك، إنك قد وصفتنا صفةً لم تكن بها عالماً، فأما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يُشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس، والجِعلان، والعقارب، والحيّات، فنرى ذلك طعامنا. وأما المنازل فهي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، ويُغير بعضنا على بعضٍ، وإن كان

أحدنا ليدفن ابنته وهي حيّة كراهية أن تأكل، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك؛ فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً، ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا، وقبيلته خير قبائلنا، وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدَقنا وأحكمنا، فدعانا إلى أمرٍ فلم يُجبه أحد قبل تِرْبٍ كان له، وكان الخليفة من بعده، فقال وقلنا، وصَدَقَ وكَذَبْنَا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئاً إلا كان، فقذف الله في قلوبنا التصديق واتّباعه فصار فيما بيننا وبين ربّ العالمين؛ فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله، فقال لنا: إن ربكم يقول: إني أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شيء، وكلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهي، وأنا خلقتُ كلَّ شيءٍ، وإليّ يصير كلُّ شيءٍ، وإنّ رحمتي أدركتكم فبعثتُ إليكم هذا الرجل لأدلّكم على السبيل التي بها أُنجيكم بعد الموت من عذابي، ولأحلّكم داري، دار السلام، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق، وقال: من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم،ومن أبى فقاتلوه، فأنا الحكَم بينكم، فمن قُتل منكم أدخلته جنّتي، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه. فاختر إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تُسلم فتُنجي نفسك.

فقال: أتستقبلني بمثل هذا؟ فقال: ما استقبلت إلا من كلّمني، ولو كلّمني غيرك لم أستقبلك به. فقال: لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم، لا شيء لكم عندي، وقال: ائتوني بوقرٍ[1] من ترابٍ، فقال: احملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن، ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسل

(١) الوقر: الحمل.

إليكم من رستم حتى يُدفيكم ويُدفيه[١] في خندق القادسية، ويُنكّل به وبكم من بعد، ثم أورده بلادكم، حتى أُشغلكم في أنفسكم بأشدّ ما نالكم من سابور[٢].

كانت الفرس والروم إذن ينظرون إلى العرب نظرة احتقارٍ إذ يرونهم قوماً جياعاً لا عمل لهم ولا مهمة سوى الفخر بالأحساب، والنصر بالاقتتال، وكثرة الأشعار، وهذا ما يدفعهم للقتال لأتفه الأسباب، أو غزو الجوار، والغارات على الحضر، ووأد البنات، والتنقّل في القفار وراء الإبل، والارتحال إلى مواطن القَطْر، لذا كان الفرس والروم يخشون غاراتهم نتيجة الحاجة والجوع، لذا اصطنعوا أقواماً منهم وعدّوهم عُمّالاً لهم، ليردّوا عنهم تلك الغارات، وليدفعوا عنهم شرّ أولئك الأعراب، وليُؤدبوا من يستحقُّ التأديب إن دعت الحاجة إلى ذلك.

أما العرب فكانت في نفوسهم هيبة إلى الفرس والروم لقوّتهم، واتّساع سلطانهم، وتنظيم شؤونهم، وحُسن إدارتهم - حسب أعرافهم - لذا كانوا يخافونهم ويرهبونهم بل كانوا يخشون عُمّالهم من المناذرة والغساسنة فيُسَمّونهم ملوكاً، ويتزلّفون لهم، ويرتحلون إليهم ليمدحوهم، ويتقرّبون إليهم فينظّمون القصائد بمدحهم بل ويحتكمون إليهم.

فلما ظهر الإسلام قلّت هيبة الفرس والروم في أعين المسلمين إذ أنهم كُفّار لا يُفكّرون ولا يعقلون، همّهم ملء البطون، وغايتهم تأمين الشهوة، ومن أجل هذا يتناحرون، ولأجل هذا يعيشون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً.

---

(١) يُدفيه: يُجهز عليه.

(٢) تاريخ الطبري.

أما هيبة القوّة فقد خفّت بعد معركة (ذي قار) التي كانت مؤشّراً لذلك، حيث انتصر العرب على الفرس، ولما بلغ ذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (هذا أول يومٍ انتصف العرب من العجم وبي نصروا). أما سقوط الهيبة الفعلي فكان بقيام دولة الإسلام، والصدام الذي وقع بين المسلمين والروم في غزوة مؤتة في شهر جمادى الأولى سنة ثمانٍ للهجرة، وقد كان جيش الروم وعملاؤه يتألف من مائة ألفٍ من الروم بقيادة (تيودور) أخي (هرقل) ملك الروم، ومائة ألفٍ من الغساسنة والعرب المتنصّرة بقيادة (مالك بن رافِلة البلوي)، ومع هذا الجيش العرمرم عشرات الألوف من الخيل تزيد على الخمسين ألفاً. أما الجيش الإسلامي فلم يكن ليزيد على ثلاثة آلاف مجاهدٍ، ومع هذا الفرق الكبير في العدد والعتاد حيث لا يُشكّل المسلمون أكثر من واحدٍ على سبعين (١/ ٧٠) أيّ أن كل مسلمٍ يُقابل سبعين مقاتلاً من الأعداء. ومع هذا الفرق الكبير بين الجيشين فإن الروم لم يستطيعوا فعل شيءٍ بل وجدوا أمامهم جبالاً صامدةً وأُسوداً مُقاتلةً. ورأى المسلمون فشل الروم فسقطت هيبتهم من النفوس، وضعف شأنهم.

وسقطت هيبة الروم ثانيةً في (تبوك) إذ حشدوا جموعهم، وقرروا غزو ديار الإسلام، فسار إليهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة، وما أن سمع الروم بمسير المسلمين بثلاثين ألفاً حتى انسحبوا من الميدان، وتوزّعوا، ووصل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى تبوك فلم يجد أثراً للروم، فأقام فيها بضع عشرة ليلةً جاءه أثناءها (يوحنا)

صاحب (أيلة[١]) وأهالي (جرباء[٢])، وأهل (أزرح[٣]) فصالحوه على دفع الجزية. وكان هؤلاء من رعايا الروم، ومدنهم ضمن ملكهم، فلما رأوا هزيمة الروم بفرارهم، وعزيمة المسلمين وجرأتهم، تركوا الروم وصالحوا المسلمين، واعتقدوا أنهم أصبحوا في حماية دولةٍ مرهوبة الجانب.

وجهّز رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قبل وفاته جيشاً بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة ليجوس في الأرض جنوبي بلاد الشام لإثبات هيبة المسلمين، وإظهار عدم المبالاة بالروم، وتقوية مواقف الذين صالحوا رسول الله،صلى الله عليه وسلم، في (تبوك)، وتوفي رسول الله، صلى الله عليه وسلم،ولم يتحرّك الجيش.

وبويع أبو بكر الصدّيق، رضي الله عنه، وكان أول عملٍ قام به إرسال جيش أسامة، رضي الله عنه، وكان في هذا الإرسال قوة معنوية كبيرة للمسلمين، وإضعاف واضح لمعنويات المنافقين والمرتدّين الذين شعروا أن لدى المسلمين قوةً معنويةً كبيرةً جداً، ولو لم يكن ذلك لما تمّ إرسال هذا الجيش إلى تلك المناطق النائية التي تقع في أطراف الجزيرة بل وخارج نطاقها في البلاد التي تتبع الإمبراطورية الرومانية، ولم يخشوا أبداً ما يتهدّد المدينة المنوّرة

(١) أيلة: مدينة كانت قريبةً من موقع مدينة العقبة اليوم (نهاية خليج العقبة).
(٢) جرباء: مدينة في جنوبي بلاد الشام، جنوب شرقي مدينة (عمّان) وعلى بُعد خمسين كيلو متراً منها.
(٣) أزرح: مدينة في جنوبي بلاد الشام، شمال غربي مدينة (معان) وعلى بُعد عشرين كيلو متراً منها.

من المنافقين والمرتدّين والذين يُحيطون بها من كل جانب. كما أرهب هذا الجيش الروم، ورسّخ هيبة المسلمين لدى مختلف الأطراف.

ثم جهّز أبو بكر الصدّيق، رضي الله عنه، الجيوش لفتح بلاد الشام ونشر الدعوة الإسلامية في تلك الجهات والنواحي الشمالية. ودبّ الرعب في نفوس عُمّال الروم الغساسنة وعملائهم من العرب المتنصّرة بل وفي نفوس الروم أيضاً.

سقطت هيبة الروم من نفوس المسلمين فلم يعد يخشاهم أحد بل غدت جرأة لدى المسلمين على الروم بعد أن قاتلوهم وتغلّبوا عليهم، وكما سقطت هيبة الروم عسكرياً سقطت معنوياً إذ تلقّى المسلمون القرآن الكريم، وتعلّموا أن النصر بيد الله وأن الكثرة لا تُغني شيئاً مهما تزايدت، وأن العتاد لا يُفيد مهما كثُر، والفئة المؤمنة القليلة الضعيفة تغلب بإذن الله الفئة الكثيرة القوية.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[1].

وبإيمان المسلمين العميق بما أنزل الله على رسوله، ووعده لهم بالنصر ارتفعت معنوياتهم، وانطلقوا يُجاهدون في سبيل الله، وهم على يقينٍ بالنصر أو بنيل الشهادة في سبيل الله وهي أسمى أمانيهم.

أما بالنسبة إلى الفرس فإن هيبتهم المعنوية قد سقطت لرسوخ تعاليم الإسلام في نفوس المؤمنين، غير أن تجارب القتال قد كانت قليلةً لبُعد المسافة

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

وكثرة القفار، وقلّة السُّبل، وتوجيه القتال إلى المنافقين، والمرتدّين، والأعراب المشركين.

وأما في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقد فرض وجود اليهود في خيبر، وتيماء، ووادي القرى أن يكون التحرّك في الدعوة والقتال نحو الشمال، إضافةً إلى أن محاولة تدخّل الروم في شؤون المسلمين سبقت محاولة الفرس، وهذا اقتضى التوجّه نحو الشمال قبل الحركة نحو الشرق والشمال الشرقي، ولعلّ مما يُستشهد به في هذا المجال حديث كعب بن مالك(١)، رضي الله عنه، وهو أحد المُخلّفين الثلاثة في غزوة (تبوك)، وقد ذكر في حديثه عن تخلّفه عن قدوم أحد الأنباط إلى المدينة وسؤاله عنه، وعندما التقى به دفع له كتاباً من ملك غسّان، وقد جاء فيه: "أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مضيعةٍ، فالحَقْ بنا نواسك". وهذا ما يدلُّ على محاولة التدخّل بل والتحريض.

طلب المثنّى بن حارثة الشيباني، أحد سادة شيبان، من الخليفة الصدّيق، رضي الله عنه، أن يُؤمّره على قومه وممن دان بالإسلام في تلك الجهات ليُجاهد الفرس، ويُقاتل أعداء الله، فأمّره أبو بكرٍ، رضي الله عنه، فصار يُناوش الفرس، وينتصر عليهم في موقعةٍ بعد أخرى، إلا أنه كان في عددٍ قليلٍ من

---

(١) كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الأنصاري السلمي، الخزرجي: صحابي من أكابر الشعراء، اشتهر في الجاهلية، وكان في الإسلام من شعراء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وشهد أكثر الوقائع، وكان من الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك، وتاب الله عليهم. ثم كان من أصحاب الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وعمي في آخر حياته، وعاش سبعاً وسبعين سنةً، وتوفي سنة خمسين للهجرة.

المجاهدين، والفرس كثير، ومعهم عدد كبير من العرب المتنصّرة، والقوة تتناقص مع الأيام أمام الكثرة فكان لا بُدّ من إرسال المدد للمثنّى.

كان خالد بن الوليد، رضي الله عنه، قد انتهى من حرب اليمامة بقتال المرتدّين فجاءه الأمر من أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه، بالتوجّه إلى العراق لدعم المثنّى بن حارثة الشيباني(١)، وأمره أن يدخلها من جهة الجنوب، وفي الوقت نفسه أرسل الخليفة الصدّيق، رضي الله عنه، عِياض بن غَنْمٍ(٢)، رضي الله عنه، ليأتي العراق من جهة الشمال، وليكن لقاء القائدين في مدينة الحيرة(٣)،

---

(١) المثنّى بن حارثة الشيباني: صحابي فاتح، من كبار القادة، أسلم سنة تسعٍ للهجرة، وغزا بلاد فارس أيام خلافة أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه، فتناقل المسلمون أخباره. فسأل أبو بكر، رضي الله عنه، من هذا الذي تأتينا أخباره؟ فقال قيس بن عاصم: أما إنه غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا قليل العدد، ولا ذليل الغارة، ذلك المثنّى بن حارثة الشيباني. ثم وفد على أبي بكرٍ، رضي الله عنه، فأكرمه وأمّره على قومه. وعاد يُغير على سواد العراق، فأمدّه الصدّيق، رضي الله عنه، بخالد بن الوليد فكان بدء الفتح. ولما ولي الخلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أمدّه بجيشٍ يقوده أبو عبيد بن مسعود الثقفي، فكانت معركة مع الفرس قُتل فيها أبو عبيد، وجُرح المثنّى، فأمدّه الخليفة بجيشٍ يقوده سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، وشهد المثنّى عدة معارك بعد شفائه، فانتفضت عليه جراحه فمات قبل وصول سعد بن أبي وقاص إليه وذلك سنة ١٤ للهجرة.

(٢) عياض بن غنم بن زهير بن أبي شدّاد، أبو سعد الفهري: قائد من شجعان الصحابة. كان خيّراً، صالحاً، زاهداً، سخياً، كان يُقال له "زاد الراكب" لكرمه. افتتح الجزيرة صلحاً في بلاد الشام. واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه، لما احتضر على الشام. توفي سنة ٢٠ للهجرة، وهو ابن ستين سنةً.

(٣) الحيرة: مدينة بين الكوفة والقادسية تبعد عن الأولى عشرين كيلو متراً إلى الجنوب الغربي منها وثلاثين كيلو متراً عن الثانية إلى الشمال الشرقي منها.

ومن سبق كانت له القيادة، ثم أمدّ خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي[١]، وأنجد عياض بن غنم بعبد بن عوف الحميري.

سار خالد بن الوليد، رضي الله عنه، إلى (الحيرة)، وصالح صاحب بلدة (أليس[٢]) " بَصْبَرى بن صلُّوبا "، وقد وصل خالد بن الوليد، رضي الله عنه، إلى (الحيرة)، وصالح عامل الفرس عليها "هانئ بن قبيصة الطائي" وطلب خالد بن الوليد، رضي الله عنه، من المثنّى التوجّه إلى مدينة (الأُبُلَّة[٣]) لتجتمع قوات المسلمين، فاجتمع المسلمون قرب (الأُبُلَّة)، فالتقوا بجيشٍ من الفرس يقوده(هُرْمُز)، فانتصر المسلمون وقتلوا قائد الفرس، ثم اتجهوا إلى بلدة (المَذار[٤])، فهزموا جيشاً آخر للفرس، وقتلوا قائده (قارون بن قَرْيانس)، ثم ساروا إلى (الوَلَجَة[٥]) حيث يتجمع الفرس، فهُزمت القوات الفارسية هزيمةً مُنكرةً، وتجمّع نصارى العرب في بلدة (أليس) فسار إليهم خالد بن الوليد، رضي الله عنه، فسحقهم.

---

(١) القعقاع بن عمرو التميمي: أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام، له صحبة مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم. شهد معركة اليرموك وفتح دمشق، وأكثر المعارك ضدّ الفرس، وسكن الكوفة،وشهد معركة صفّين بجانب عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه. كان يتقلّد في ساعات السعادة سيف هرقل (ملك الروم)، ويلبس درع بهرام (ملك الفرس)، وهما مما أصابه من الغنائم في المعارك. وكان شاعراً. قال أبو بكر الصدّيق، رضي الله عنه: (صوت القعقاع في الجيش خير من ألف فارس). توفي حوالي سنة ٤٠ للهجرة.

(٢) أليس: بلدة غير قائمة الآن، وكانت في أول أرض العراق من جهة البادية.

(٣) الأُبُلّة: مدينة قديمة،غير موجودة الآن تقع على شط العرب شمال مدينة البصرة اليوم.

(٤) المذار: بلدة تقع على ضفة نهر دجلة اليسرى، شمال بلدة القرنة حيث يلتقي نهرا دجلة والفرات بسبعة وثلاثين كيلو متراً، وغير قائمة الآن، لكنها قريبة من بلدة قلعة صالح.

(٥) الولجة: تقع وسط سواد العراق، قريبة من (كسكر).

دخل خالد بن الوليد، رضي الله عنه، الحيرة، وولّى عليها القعقاع بن عمرو، رضي الله عنه، وسار هو إلى الشمال يريد دعم عياض بن غنم الذي كُلّف بشمالي العراق. فنزل خالد، رضي الله عنه، (الفلوجة[١])، ورجع إلى (كربلاء[٢])، ثم سار إلى (الأنبار[٣]) و(عين التمر[٤]) حيث انتصر على العرب المتنصّرة والعجم الذين تجمعوا فيها.

كتب (عياض بن غنم)، وهو لا يزال في (دومة الجندل) إلى خالد بن الوليد يستنجده، فسار إليه، وانتصر على أهل (دومة الجندل)، وأقام فيها، ثم رجع إلى (الحيرة)، ومنها سار إلى (المصيّخ[٥]) فانتصر على من اجتمع فيها من الأعداء، ثم اتجه إلى (الثَّنِيّ[٦]) و (الزّمَيْل[٧]) و (الرِّضاب[٨]).

رجع خالد، رضي الله عنه، إلى (الفراض[٩]) حيث تعاونت جموع الفرس وأخرى من الروم، ولكن المسلمين انتصروا عليهم، وقتلوا منهم أكثر من مائة ألفٍ. وعاد خالد إلى (الحيرة) فجاءه أمر الخليفة الصدّيق، رضي الله عنه،

---

(١) الفالوجة: مدينة على نهر الفرات إلى الغرب من مدينة بغداد.

(٢) كربلاء: مدينة إلى الغرب من نهر الفرات، تبعد عنه أربعين كيلو متراً، وتقع بن الفلّوجة والكوفة.

(٣) الأنبار: موضع على نهر الفرات قريبة من مدينة الرمادي.

(٤) عين التمر: موقع إلى الغرب من الأنبار، وتبعد عنها خمسين كيلو متراً.

(٥) المصيّخ: تقع شمال غرب الكوفة على وادي الأبيض، وعلى سبعين كيلو متراً من الكوفة.

(٦) الثنيّ: موقع على نهر الفرات، قريب من مكان مدينة دير الزور حالياً في سورية.

(٧) الزّميّل: موقع على نهر الفرات إلى الشمال من الثّنيّ وعلى بُعد ثلاثين كيلو متراً منها.

(٨) الرضاب: موقع قريب من مدينة الرصافة جنوب مجرى نهر الفرات بأربعين كيلو متراً.

(٩) الفراض: موقع على نهر الفرات مكان مدينة عانة اليوم إلى الشرق من الحدود السورية وعلى بُعد ثمانين كيلو متراً منها.

بالانتقال إلى الشام للالتحاق بجموع المجاهدين المسلمين عند نهر اليرموك، وتسلّم القيادة هناك.

رغم ما وقع من قتالٍ مع الفرس إلا أنه لم تكن هناك معارك فاصلة، بل كانت معارك جانبية مع الفرس، ومعارك أكثر شدّةً وضراوةً مع العرب المتنصّرة. والمعركة الحامية التي كانت في موقع (الفراض) كان أكثر وقودها من الروم. وذلك أن خالد بن الوليد، رضي الله عنه، اتّخذ خطةً حربيةً رائعةً حيث أراد أن يخرج أعوان الفرس من العرب النصارى خارج المعركة وذلك قبل الاصطدام مع الفرس، وبذا يخسر الفرس مقدّمتهم التي يزُجُّونها في المعركة من العرب النصارى لتكون الخسائر من غير أبناء جلدتهم، إذ كانوا عادةً يحتمون بغيرهم، هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أُخرى يدبّ الرُّعب في نفوس الفرس بما يسمعونه من هزائم حلفائهم من العرب النصارى وسحقهم. فخالد بن الوليد، رضي الله عنه، قد أنهك أعوان الفرس، وأخرجهم من المعارك المرتقبة قبل أن يقضي عليهم كمقدمةٍ للفرس ودرءٍ حامٍ لهم، ومن ناحيةٍ ثالثةٍ، أراد أن تكون الجبهة طويلةً مع الفرس فلا يستطيعون حشد أعدادٍ ضخمةٍ في ساحةٍ واحدةٍ على حين يُجيد المسلمون التحرّك السريع والانتقال من ميدانٍ إلى آخر.

أخذ خالد بن الوليد، رضي الله عنه، يُقاتل العرب المُتنصرة، ويتوغّل باتجاه الشمال عِبْرَ المناطق التي تفصل بين الفرس والروم مع مجرى نهر الفرات تقريباً، فيبقى محور الاتجاه نحو الشمال الغربي أي أقرب إلى الحركة نحو الروم حتى شكّ الفرس في أنهم الهدف بل توقّعوا أن الروم هم القصد لذا لم يحشد الفرس قواتٍ ضخمةً، ولم يزجّوا بثقلهم كلّه ضدّ المسلمين القادمين. واستفاد خالد،

رضي الله عنه، أيضاً بمعرفته أن الروم على غير استعدادٍ للقتال قبل جمع قوةٍ ضخمةٍ يضعونها في وجه المسلمين، إذ جرّبوا القتال معهم وعرفوا ما يجب وضعه من قوّاتٍ في مواجهتهم، ولم تكن ظروفهم مساعدة لذلك الحشد الضخم، وفي الوقت نفسه كانت قد وصلت أنباء دعوة الخليفة للمسلمين بالانخراط في صفوف المجاهدين للدعوة، ونشر الإسلام، وقتال من يقف في وجه الدعوة، ويصدّ عن سبيل الله، وتوقّع الروم أن تكون حركة المسلمين نحوهم لذا لم يهتمّوا كثيراً بتوغّل خالدٍ، رضي الله عنه، في حوض نهر الفرات، فلما توغّل كثيراً إذ وصل إلى شمالي بلاد الشام تقريباً بوصوله إلى موقع (الرضاب) إذ اقترب من مدينة (حلب) لذا انتبهوا إلى واقعهم، واتفقوا مع أعدائهم الفرس، وحشدوا قواتٍ مشتركةً في بلدة (الفِراض) غير أنهم هُزموا وفقدوا أكثر من مائة ألف قتيلٍ في ساحة المعركة، **وهكذا يلتقي الأعداء بعضهم مع بعضٍ ضدّ الإسلام على مدى الأيام مهما كان الخلاف بينهم شديداً، ومهما كانت العقائد بينهم مُتباينة** فالروم نصارى، والفرس مجوس عبدة نارٍ، ومع ذلك التقوا على حرب المسلمين، وساعد بعضهم بعضاً، ولكن لم يُجْدِهم ذلك نفعاً، فقد هُزموا شرّ هزيمةٍ فالنصر بيد الله يُؤتيه من يشاء. كما أن وحدة الأصل لم تكن في الحسبان. وقد وقف إلى جانب الفريقين العرب النصارى تأييداً لأحلامهم سواءً أكانوا فرساً أو روماً دون النظر إلى صلتهم العِرقية مع المسلمين إذ كلاهما من العرب. وإذا انحاز بنو تغلب النصارى إلى المسلمين لا صلةً ولكن طمعاً بالغنائم وأخذ الأسلاب حيث لم ينحازوا إليهم تلقائياً للقربى بل بعد مفاوضاتٍ لتأمين الأطماع، ومع ذلك لم يثق بهم المسلمون بل طلبوا منهم أن يُقاتلوا منفصلين عنهم، ولا يدخلوا بينهم حتى لا يُمكنهم فعل

شيءٍ إن فكروا بذلك، كما أخبر المسلمون بني تغلب بل اشترطوا عليهم أن يكون قتالهم تبعاً لأوامر قيادة المسلمين، وكذا قسمة الغنائم والأسلاب حيث ليس لغير المسلمين نصيب في السبي.

وجاء الأمر بعد ذلك إلى خالد بن الوليد، رضي الله عنه، بالانتقال مع بعض جنده إلى ساحة القتال في الشام، وتسلّم القيادة، فسار إلى حيث جاءت الأوامر، وما أن وصل إلى اليرموك وتسلّم الإمرة حتى جاءه البريد بوفاة الخليفة أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه، وبيعة الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بالخلافة.

أمر الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، المثنّى بن حارثة الشيباني الذي استخلفه خالد بن الوليد على العراق بعد أن سار هو إلى الشام. أمره أن يبدأ بقتال الفرس ليكون ذلك رهبةً للأعداء، كما كان إرسال أبي بكر، رضي الله عنه، لجيش أسامة بعد وفاة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيعرف الفرس أن المسلمين لو لم تكن عندهم قوة لما باشروا القتال، وأن موت خليفتهم لم يُغيّر عندهم شيئاً، فعهد الخليفة الجديد تتمّةً لسابقه، والمبدأ الإسلامي واحد لدى المسلمين جميعاً.

أخذ الفرس بالاستعداد للمعركة الحاسمة، وشعروا بقلّة جند المسلمين على جبهتهم بعد أن غادرها خالد بن الوليد، رضي الله عنه، بمن معه إلى الشام لذا رغب الفرس انتهاز هذه الفرصة، والنيل من المسلمين، وطردهم من العراق، فأرسل (شهريار) ملك الفرس جيشاً قوامه عشرة آلاف مُقاتلٍ إلى

المثنّى بن حارثة الشيباني قائد جند المسلمين إلا أن الفرس قد هُزموا هزيمةً مُنكرةً أيضاً.

طلب المثنّى بن حارثة المدد من المدينة، ثم سار بنفسه فوجد أن الصدّيق في آخر عهده وقد استخلف الفاروق من بعده، فلما رأى الصدّيق المثنّى قال للفاروق: إذا متُّ فلا تُمسِيَنّ حتى تندب الناس للحرب مع المثنّى، وإذا فتح الله على أمرائنا بالشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أعلم بالحرب.

فلما مات الصدّيق ندب الفاروق المسلمين إلى الجهاد في أرض العراق، وأمّر عليهم أبا عبيد بن مسعود الثقفي، وقد أخذ هذه الإمرة لأنه كان أول من لبّى نداء الجهاد، ولم يكن أبو عبيد من الصحابة.

وكتب الفاروق، رضي الله عنه، في الوقت نفسه إلى أبي عبيدة بن الجراح أمير جند الشام، رضي الله عنه، أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد بن الوليد، رضي الله عنه، إلى العراق فسيّرهم أبو عبيدة، رضي الله عنه، بعد فتح دمشق بإمرة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص(١).

(١) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص: صحابي جليل، خطيب من الفرسان، يُلقّب بـ (المرقال)، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، أسلم يوم فتح مكة، أصيبت عينه يوم اليرموك فقيل له الأعور، وشهد القادسية، وجلولاء، وكان مع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وقُتل في آخر أيام (صفّين) سنة ٣٧ هـ.

وأرسل الفاروق، رضي الله عنه، مدداً آخر بقيادة جرير بن عبد الله البجلي[(١)]، قوامه أربعة آلافٍ، فسار باتجاه الكوفة، فالتقى بجيشٍ من الفرس فهزمه، وسقط أكثر جند الفرس في نهر الفرات.

انتصر أبو عبيد بن مسعود الثقفي على الفرس في معركة (النمارق) بين الحيرة والقادسية، ففرّوا إلى (كسكر) فجاءتهم النجدات فلحقهم أبو عبيد، وانتصر عليهم ثانيةً ففرّوا إلى (المدائن).

أرسل (رستم) جيشاً كثيفاً إلى أبي عبيد فالتقى الطرفان، وكان بينهما جسر، فغامر أبو عبيد، واقتحم الجسر إلى الفُرس فجرت معركة عنيفة بينهما، قُتل فيها أبو عبيد وعدد من القادة الذين تولّوا أمر المسلمين بعده، حتى آلت القيادة إلى المثنى بن حارثة الشيباني فوقف عند الجسر وحمى مرور المسلمين، ومعه بعض

---

(١) جرير بن عبد الله البجليّ القسريّ: من أعيان الصحابة، بايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على النصح لكل مسلم، يقول: ما رآني رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلا تبسّم في وجهي. وقال: (يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحة مَلَك).
عن عدي بن حاتم، قال: لما دخل – يعني جريراً على النبي، صلى الله عليه وسلم، ألقي له وسادةً، فجلس على الأرض، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: (أشهد أنك لا تبغي علواً في الأرض ولا فساداً). فأسلم. ثم قال النبي، صلى الله عليه وسلم، (إذا أتاكم كريم قومٍ فأكرموه).
وعن الواقدي، قال: قدم جرير البجليّ المدينة في شهر رمضان سنة عشر، ومعه من قومه خمسون ومائة، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (يطلع عليكم من هذا الفجّ من خير ذي يمنٍ). فطلع جرير على راحلته، ومعه قومه. فأسلموا. فكانوا من آخر من أسلم.
كان جرير البجليّ على ميمنة سعد بن أبي وقاص يوم القادسية. وبعثه علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، إلى معاوية، رضي الله عنه، يأمره بالمبايعة. توفي سنة ٥١ للهجرة، وقيل سنة ٥٤هـ.

الفرسان. وسار الفرس إلى المدائن فلحقهم المثنّى، وهزم كل من اعترض سبيله، وأخذ عدداً كبيراً من الأسرى، فقتلهم، وطلب من أمراء المسلمين في العراق القدوم إليه، فوافوه، فاجتمعت جيوش المسلمين، فجاءتهم أعداد ضخمة من الفرس، فالتقى الطرفان في معركة (البويب) التي انتصر فيها المسلمون، فنالوا ثأر معركة الجسر، إذ قُتل في معركة البويب قائد الفرس (مهران)، وقُتل عدد كبير من الفرس، وأسر مثلهم، وغرق في النهر أكثر منهم، وأخذ المسلمون غنائم وفيرةً.

أرسل المسلمون الأخبار إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وطلبوا منه الدعم، فسار إليهم على رأس جيشٍ بعد أن ولّى مكانه علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ووصل إلى موقع يُقال له (الصِّرار) فعقد هناك مجلساً استشارياً، ودعا علياً، رضي الله عنه، من المدينة لحضوره. ورأى عبد الرحمن بن عوف، ر ضي الله عنه، ألا يسير الخليفة على رأس الجيش بل يبقى في المدينة يدير شؤون الأمة، وقال للخليفة عمر، رضي الله عنه، أخشى إن كُسرت أن تُضعِف أمر المسلمين في سائر أقطار الأرض، وإني أرى أن تبعث رجلاً، وترجع إلى المدينة، فمال عمر، رضي الله عنه إلى هذا الرأي، ووقع الاختيار على سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، ليكون قائداً للجيش، فأوصاه فقال: يا سعدُ، سعد بني وهيب، لا يَغرّنّك أن قيل خال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم،فإن الله عزَّ وجلَّ لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحدٍ نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربّهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويُدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمر الذي رأيت النبي،

صلى الله عليه وسلم، منذ أن بُعثَ إلى أن فارقنا فالزمْه فإنه الأمر. هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك، وكنت من الخاسرين.

ولما أراد أن يُرسله دعاه فقال: إني ولّيتك حرب العراق، فاحفظ وصيتي فإنك تَقْدُمُ على أمرٍ شديدٍ لا يُخَلِّصُ منه إلا الحق، فعوِّد نفسك ومن معك الخير، واستفتح به. واعلم أن لكل عادةٍ عتاداً، فعِتاد الخير هو الصبر، فالصبر على ما أصابك أو أنابك، يجتمع إليك خشية الله. واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبُغض الآخرة، والقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً، منها السرّ، ومنها العلانية، فأما العلانية فأن يكون حامِدُه وذامُّه في الحقّ سواء، وأما السِّرُّ فيُعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه، وبمحبة الناس، فلا تزهد في التّحَبُّبِ فإن النبيين قد سألوا محبتهم، وإن الله إذا أحب عبداً حَببَهُ، وإذا أبغض عبداً بغَّضه. فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك. ثم سرّحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نصير المسلمين. فخرج سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، قاصداً العراق في أربعة آلافٍ، ثلاثة ممن قَدِم عليه من اليمن والسراة (١).

سار نصف المجاهدين إلى العراق مع سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، ونصفهم الآخر إلى الشام.

ثم أمدّ الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، بألفين من اليمن وألفين من نجد.

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٨٣ – ٤٨٤.

سار سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، نحو القادسية بمن معه من المجاهدين، وواعد بقية المجاهدين باللقاء هناك.

اجتمع المسلمون في القادسية بناءً على وعد سعدٍ، رضي الله عنه، بناءً على أمر الخليفة الفاروق، رضي الله عنه. واعترض المسلمين جيش من الفرس عند ماء العُذَيْبِ فانتصر المسلمون، وأخذوا غنائم كثيرةً، ونزل سعد، رضي الله عنه، مع من معه من المسلمين في القادسية، وبقوا فيها شهراً لا يرون أثراً للفرس. وكانوا يبثّون السرايا في كل الجهات، فتأتي بالغنائم.

جعل ملك الفرس يزدجرد قائداً للحرب رستم، وبعثه على رأس جيشٍ قوامه مائة وعشرون ألفاً، وبعث له مدداً مثل ذلك. ولما اقترب رستم من المسلمين أرسل له سعد جماعةً من المجاهدين يدعونه إلى الله عزّ وجلّ، ونتيجة المقابلة ضعفت معنويات الفرس وقائدهم رستم، وارتفعت هيبة المسلمين في نفوسهم لما سمعوا، ولما خبروه من معارك.

ولما اقترب الجيشان طلب (رستم) من سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، أن يبعث له رجلاً يُجيبه عن بعض أسئلته، فأرسل له سعد، رضي الله عنه، المغيرة بن شعبة(١). فقال له رستم: إنكم جيراننا، وكُنّا نُحسن إليكم، ونكّف

---

(١) المغيرة بن شعبة: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر من مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب، وقادتهم، وولاتهم، ولد سنة عشرين قبل الهجرة في مدينة الطائف، ذهب أيام الجاهلية إلى الاسكندرية وافداً على (المقوقس) ثم رجع إلى الحجاز، أسلم سنة خمسٍ للهجرة، وشهد الحديبية، واليمامة، وفتوح الشام، وذهبت عينه في معركة اليرموك. وشهد القادبية، ونهاوندن وهمدان وغيرها. ولّاه الفاروق عمر، رضي الله عنه، على البصرة، ففتح عدة بلدان، وعزله ثم ولّاه الكوفة، وأقرّه عثمان، رضي الله عنه، على الكوفة، ثم عزله. اعتزل الفتنة، وحضر مع الحكمين، ثم ولّاه معاوية، رضي الله عنه، الكوفة، ولم يزل فيها =

الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم، ولا نمنع تجارتكم من دخول بلادنا. فقال له المغيرة: ليس طلبنا الدنيا، وإنما همّنا الآخرة.

وكان جند الفرس يزيد عددهم على مائةٍ وعشرين ألفاً، وكان سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، مريضاً لا يستطيع الركوب، لذا فقد جلس في مكانه نائماً على صدره فوق وسادةٍ، ينظر إلى الجيش، يُدبّر أمره، ويُصدر تعليماته، وقد أعطى القيادة إلى خالد بن عرفطة(١)، حيث يبلغ الجند أوامره.

استمر ت المعركة أربعة أيامٍ، وفي اليوم الأخير عمل أبطال المسلمين على فقء عيون الفيلة برماحهم وقتلها ومن عليها حيث كانت تنفر من الخيول. وبعد الظهر من ذلك اليوم، وهو الإثنين الرابع عشر من شهر المحرم من السنة الرابعة عشرة من الهجرة النبوية هبّت ريح شديدة على الفرس أزالت خيامهم فما كان منهم إلا الهرب، وقد قُتل قائدهم رستم، ووصلت جماعة من الفارّين حتى دخلت المدائن مقرّ الحكم، وفيها الملك (يزدجرد بن شهريار) ولحقهم بعض المسلمين، وفتحوا المدائن وراءهم.

وانطلق المسلمون وراء الفرس، وما وقف في وجههم أحد إلا هزموه. وما التقوا بجيشٍ إلا كسروه حتى دخلوا المدائن فوجدوا أهلها قد فرّوا منها، ولم

=حتي توفي سنة خمسين للهجرة. له ١٣٦ حديثاً، وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سُلّم عليه بالإمرة في الإسلام.

(١) خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان الليثي، ويقال "العذري"، وهو الصحيح، وهو حليف بني زُهرة. وكتب الخليفة عمر، رضي الله عنه، إلى سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، أن يُؤمّره، فاستخلفه سعد على الكوفة. وتوفي خالد سنة ٦١ هـ.

يجدوا سوى حُماة القصر الأبيض، الذين استسلموا بعد ثلاثة أيامٍ، وسكنه سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، بناءً على أمر الخليفة عمر، رضي الله عنه.

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ينتظر أخبار الفتح بفارغ الصبر، ويهتمّ بنبأ المعركة، حتى كان يخرج وحده أحياناً إلى خارج المدينة يسأل الركبان، ويتقصّى الأخبار حتى جاء البشير بالفتح ونصر الله.

وفتح المسلمون جلولاء، وحُلوان، وتكريت، والموصل، والأهواز، وكان الهرمزان قد فرّ من القادسية، وسار إلى الأهواز، وتغلّب عليها. فلما جاءه المسلمون أُجبر على طلب الصلح، لكنه نقض العهد، وهُزم ثانيةً، وصالح وأعطى العهد، غير أنه كلما عاهد نقض عهده حتى حوصر وأُجبر على الاستسلام، فحُمل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في المدينة المنورة، مع وفدٍ فيه: الأحنف بن قيس، وأنس بن مالك، وخُمس الغنائم.

وتجمع الفرس في نهاوند، وكان الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لا يريد أن ينساح المسلمون في بلاد فارس الواسعة خوفاً عليهم من ضياعهم فيها، فلما وصل إلى المدينة الأحنف بن قيس مع الوفد الذي يسوق الهرمزان معه سأل الخليفة عمر، رضي الله عنه، الأحنف بن قيس عن الأحوال، وكان عمر، رضي الله عنه يخشى أن يكون المسلمون يحيفون على أهل الذمة الأمر الذي يجعلهم ينقضون العهد، فقال الخليفة: لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذىً، وبأمور لها ما ينتقضون بكم، فأجاب الأحنف: ما نعلم إلا وفاءً وحُسن ملكةٍ، قال: فيكف هذا؟.

قال الأحنف: يا أمير المؤمنين أخبرك أنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد، وأمرتنا بالاقتصار على ما في أيدينا، وأن مَلِك فارس حيّ بين أظهرهم، وأنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام مَلِكُهم فيهم، ولم يجتمع ملكان يتفقان حتى يُخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيتَ أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيءٍ إلا بانبعاثهم، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا رأيهم حتى تأذن لنا فلنَسُحْ في بلادهم حتى نُزيله عن فارس ونُخرجه عن مملكته وعزّ أمته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس. فقال عمر، رضي الله عنه: صدقتني والله وشرحت لي الأمر عن حقّه.

وجاءت الأخبار إلى الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أن الفرس قد تجمّعوا في (نهاوند)، وهذا ما جعله يأمر بالانسياح في أرض فارس. وقد رغب أن يسير هو بنفسه على رأس جيشٍ لقتال الفرس، إلا أنه عندما استشار الصحابة رأوا غير ذلك، فعدل عن رأيه، وكان الذي اقنعه بذلك عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه. فأعطى الخليفة أوامره لأمراء المسلمين أن يسيروا إلى (نهاوند) لمنازلة الفرس، وكل على جنده أميراً، وعلى الجميع النعمان بن مُقَرِّن[1]

(١) النعمان بن مُقرِّن بن عائذ المزني، أبو عمرو: صحابي فاتح من الأمراء القادة الشجعان. كان معه لواء (مزينة) يوم فتح مكة. سكن (البصرة) ثم تحوّل إلى (الكوفة). وجّهه سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، بأمر الخليفة عمر، رضي الله عنه، إلى محاربة الهرمزان، فزحف بجيش الكوفة إلى الأهواز، وهزم الهرمزان، وتقدّم إلى مدينة (تُستُر) فشهد وقائعها، وعاد إلى المدينة بشيراً بفتح القادسية.
دخل الخليفة عمر، رضي الله عنه، المسجد في المدينة فرأى النعمان بن مقرن فجلس إلى جنبه، فلما قضى صلاته، قال: أما إني سأستعملك.
قال النعمان: أما جابياً فلا، ولكن غازياً.
قال الخليفة: فأنت غازٍ.

=

فإن أصيب فقيس بن مكشوح[١]، وسمّى عدّة أمراء.

سار المسلمون إلى مدينة نهاوند ولا يزيد عددهم على الثلاثين ألفاً إلا قليلاً، وكان قد تجمّع فيها من الفرس ما يزيد على المائة وخمسين ألفاً، وكانت المعارك سجالاً بين الطرفين يومي الأربعاء والخميس، ثم انتصر المسلمون على أعدائهم الأمر الذي جعل الفرس يدخلون مدينتهم، ويتحصّنون فيها، فلما طال الحصار استشار النعمان بن مُقَرِّن رجاله فأشاروا عليه بالتراجع أمامهم حتى إذا ابتعدوا عن حصونهم انقضّوا عليهم، فوافق النعمان على ذلك، وأمر القعقاع أن يبدأ القتال مع الفرس، وأن يتراجع أمامهم، ففعل، وعندما ابتعد الفرس عن حصونهم بدأ النعمان بالقتال، ونشبت معركة حامية قُتل فيها من الفرس أكثر من مائة ألف رجلٍ، وتجلّل وجه الثرى بالجُثث، وسقط النعمان عن فرسه واستشهد، ولم يعلم بذلك سوى أخيه نعيم، فأخفى ذلك، وأخذ الراية وسلّمها إلى حذيفة بن اليمان[٢] فقاد المعركة إلى النهاية، وعند

=وكانت الأخبار قد وصلت باجتماع أهل (أصبهان) و(همدان) و(الرّيّ) و(أذربيجان) و(نهاوند). وأقلق ذلك (عمر)، رضي الله عنه، فولاّه قتالهم.
خرج النعمان إلى الكوفة فجهز، وغزا (أصبهان) ففتحها، وهاجم (نهاوند) فاستشهد فيها وذلك سنة ٢١ هـ. ولما بلغ الخليفة عمر، رضي الله عنه، مقتله، دخل المسجد ونعاه إلى الناس على المنبر، ثم وضع يده على رأسه يبكي.

(١) قيس بن مكشوح: قيس بن هبيرة المُلقّب بـ (مكشوح) بن هلال البجليّ: صحابي من الشجعان الأبطال الشعراء. كان سيّد (بجيلة) في الجاهلية، وفارسها، كنيته أبو شدّاد. له مواقف في الفتوحات، في القادسية وغيرها. سار إلى العراق على مقدمة سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، وشهد قتال (نهاوند). حضر (صفين) مع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فقُتل يومذاك، وذلك سنة ٣٧ هـ.

(٢) حذيفة بن اليمان بن حِسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حِسل: صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سرّ النبي، صلى الله عليه وسلم، في المنافقين، لم =

انتهاء المعركة أعلم الجند عن مصرع قائدهم النعمان. وفرّ من المعركة قائد الفرس الفيرُزان، فلحقه القعقاع وقتله. ودخل المسلمون نهاوند عنوةً.

وصلت الأخبار عن نهاوند إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فبكى على شهدائها بكاءً مُرّاً، وكلما ذُكر له شهيد زاد بكاؤه. ولما وصلوا إلى أسماء لا يعرفها بكى وقال: وما ضرّهم ألا يعرفهم أمير المؤمنين؟ لكن الله يعرفهم، وقد أكرمهم الله بالشهادة، وما يصنعون بمعرفة عمر.

ولما فُتحت (نهاوند) أمر عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، المسلمين بالانسياح في أر ض فارس، وأُعطيت الأوامر لسبعةِ أمراء بالتوغّل في أعماق فارس وغيرها، وكانت الفتوحات الواسعة لذا عُرفت معركة (نهاوند) باسم "فتح الفتوح" حيث كانت بداية ذلك الفتح والانسياح. لقد فُتحت فارس، ومُكران، وسجستان، وخراسان، وجرجان، وطبرستان، وطخارستان، وكُردستان، وأذربيجان، وداغستان في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بعد فتح نهاوند.

=يعلمهم أحد غيره. وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلّى عليه عمر، وإلا لم يُصلِّ عليه. وولاه الفاروق عمر على المدائن بـ (فارس). وهاجم (نهاوند) سنة ٢٢ هـ فصالحه صاحبها على مبلغ من المال يُؤدّيه في كل سنةٍ. وغزا (الدينور) و (ماه سندان)، فافتتحهما عنوةً (وكان سعدُ بن أبي وقاص، قد فتحهما ونقضتا العهد)، ثم غزا (همدان) و (الريّ)، فافتتحهما عنوةً. واستقدمه الخليفة عمر، رضي الله عنه، إلى المدينة، واستقبله في ظاهرها، فرآه كما هو في عِفّته فسُرّ به كثيراً. ثم أعاده إلى المدائن فتوفي فيها سنة ٣٦ هـ.

ومما يذكر أن القائد سارية بن زنم الكناني[1] سار نحو حشدٍ للفرس فحاصرهم، فاستنجدوا بالأكراد فأمدّوهم، فتكاثر العدو على المسلمين، وأصبحوا في خطرٍ عظيمٍ، عندئذٍ التجأ سارية إلى سفح الجبل واتخذ قمّته درءاً له يحمي بها مؤخرته، وواجه الفرس من جهةٍ واحدةٍ، واستطاع الانتصار عليهم، وذلك بعد أن سمع ما يُشبه هاتفاً وكأنه صوت أمير المؤمنين عمر، رضي الله عنه، فاستجاب له. وقد كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ساعتئذٍ يخطب على منبر المدينة المنورة يوم الجمعة، على حين كانت صلاة الجمعة قد انتهت منذ ساعةٍ، في مكان الجبهة التي يُقاتل فيها سارية وإذ بعمر يقول: "ياسارية الجبل... الجبل... من استرعى الذئب فقد ظَلَم". ويذكر أن سارية قد سمع كما سمع المسلمون الذين يسمعون خطبة الخليفة عمر في المدينة ذلك الكلام في ذلك اليوم وفي تلك الساعة، وأن الصوت الذي سمعه يشبه صوت عمر، فعدل بالمسلمين إلى الجبل ففتح الله عليهم. وذلك أن عمر، رضي الله عنه، كان يعيش بفكره، وقلبه، وعقله مع المجاهدين. ولم يدرِ ما قال عندما قال تلك العبارة.

ذكرنا أن المسلمين قد انساحوا في ديار فارس جميعها بعد معركة نهاوند سنة ٢١هـ (٦٤٣م) حيث انطلقت سبعة جيوشٍ في أنحاء البلاد كلها، ومن ضمنها مايُعرف اليوم بـ(إيران).

(١) سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الكناني الدئلي: صحابي، من الشعراء، من القادة الفاتحين. كان في الجاهلية لصاً، كثير الغارات، يسبق الخيل عَدْواً على رجليه. ولما ظهر الإسلام أسلم، وجعله الخليفة عمر، رضي الله عنه، أميراً على جيشٍ، وسيّره إلى بلاد فارس سنة ٢٣ هـ، ففتح بلاداً منها: أصبهان. وتوفي سنة ٣٠ هـ.

١- تحرك الجيش الأول بقيادة عاصم بن عمرو التميمي[١] نحو سجستان فوصل إليها وفتحها، وهي اليوم في بلاد الأفغان، وبذا فقد ضمّ الأراضي التي في طريقه إلى الدولة الإسلامية.

٢- وسار الأحنف بن قيس وكانت وجهته بلاد خُراسان[٢] فافتحها، وهي القسم الشمالي الشرقي من إيران.

٣- وسار الجيش الثالث بقيادة سويد بن مقرن[٣] نحو طبرستان[٤] ففتحها، وفتح جرجان، أرسله إليها أخوه نعيم بعد فتح مدينة الريّ التي أقام بها، وذلك كله بناءً على أوامر وتوجيهات الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

---

(١) عاصم بن عمرو التميمي: أخو القعقاع بن عمرو، أسلم في السنة التاسعة للهجرة مع قومه بني تميم فكان له شرف الصحبة، ولكنه لم يُجاهد تحت لواء رسول الله، صلى الله عليه وسلم. اشترك في حروب الرِّدَّة، وفتح العراق وفتح سجستان وتولّى أمرها، وتوفي سنة ٢٣ هـ، ويُعدّ من الأبطال المشهورين.

(٢) خراسان: وهي اليوم ضمن ثلاث دول:

١. أفغانستان: ومن مدن خراسان فيها: هراة، وبلخ.
٢. إيران: ومن مدن خراسان فيها: نيسابور.
٣. تركمانستان: ومن مدن خراسان فيها: مرو: وكانت حاضرة خراسان يومذاك.

(٣) سويد بن مقرن، أبو عائذ: أسلم مع إخوته في السنة الخامسة للهجرة، قاتل المرتدين، وشهد فتح العراق، فحضر القادسية والمدائن، ثم شهد فتح فارس فقاتل تحت لواء أخيه النعمان في نهاوند، وتحت لواء أخيه نعيم في الريّ وهمدان، ثم قاد فتح طبرستان وجرجان وما إليهما. سكن الكوفة ومات فيها.

(٤) طبرستان: ولاية كبيرة جنوب بحر الخزر، وتُعرف أيضاً باسم (مازندران)، وقاعدتها مدينة (آمل).

٤- وسار الجيش الرابع نحو أذربيجان[١] بقيادة عتبة بن فرقد[٢] الذي سار إليها من حلوان، وبكير بن عبد الله الليثي الذي سار إليها من الموصل. ففتح بكير بن عبد الله[٣] أذربيجان، وأمدّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بـ (سماك بن خَرَشة)[٤] الأنصاري على رأس قوةٍ من المجاهدين، جاءت من الريّ بعد فتحها. وسار بكير بن عبد الله نحو (باب الأبواب)[٥] فوجد أمامها سُراقة بن عمرو[٦]، فاشتركا في فتحها، وكان سراقة

---

(١) أذربيجان: منطقة جبلية شمال فارس قاعدتها مدينة (تبريز)،وتقع اليوم في دولتين هما: إيران التي من مدنها (تبريز)، وأذربيجان التي تخضع للسيطرة الروسية.

(٢) عتبة بن فرقد السلمي: اشترك في فتح العراق، وقاد الفتوح إلى أذربيجان، وتسلّم إمرتها، ثم عُزل عنها، فسكن الكوفة ومات فيها، وله شرف الصحبة مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والجهاد تحت لوائه، إذ أسلم قبل غزوة خيبر، وشهدها مجاهداً.

(٣) بكير بن عبد الله الليثي: أسلم صغيراً، وخدم النبيّ، صلى الله عليه وسلم، وهو غلام، ولم يشترك في غزوات رسول الله، صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك فقد كان له شرف الصحبة. اشترك في فتح العراق، وهو أول من خاض الماء مع المسلمين نحو المدائن. فتح أذربيجان، وقد سار إليها من الموصل.

(٤) سماك بن خَرَشة الأنصاري: وهو غير أبي دجانة، رضي الله عنه، وإن كان يُسمّى الاسم نفسه. شهد معركتي القادسية والريّ، كما حضر معركة صفين. أما أبو دجانة فقد استشهد يوم اليمامة سنة ١١ هـ.

(٥) باب الأبواب: وهي مدينة، ويُقال لها (الباب) أيضاً، وهي ميناء على بحر الخزر من جهة الغرب، وتقع اليوم في بلاد داغستان.

(٦) سُراقة بن عمرو بن لبنة، ذو النور: صحابي، لم ينل شرف الجهاد تحت لواء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، اشترك في الفتوحات ففتح (باب الأبواب)، وسكنها، ومات فيها سنة ٣٠هـ.

هو الأمير، كما جاء حبيب بن مَسلمة[١] من الجزيرة بأمر من الخليفة للمشاركة في الفتح.

وعندما فُتحت مدينة باب الأبواب وَجّه سُراقة القادة إلى مختلف الجهات لفتح تلك البقاع.

٥- تحرّك الجيش الخامس نحو (كرمان)[٢] بقيادة سهيل بن عدي الخزرجي[٣]، وكانت مهمته في طريقه من البصرة نحو هدفه أن يُشاغل قوات الفرس، ويقطع مساعدتها، وإمداداتها لأهل نهاوند. فلما تمّ النصر للمسلمين تابع مهمته، فانتصر على الفرس وفتح كرمان.ولما انتهى من عملياته الحربية فيها توجه نحو مكران[٤] مددا للمسلمين الذين يقاتلون هناك سنة ٢٣ هـ.

---

(١) حبيب بن مَسلمة بن مالك الفهري القرشي، أبو عبد الرحمن: ولد في مكة، ورأى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وخرج إلى الشام مجاهداً أيام أبي بكرٍ الصدّيق، رضي الله عنه، فشهد اليرموك، ودخل دمشق مع أبي عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه، وتولّى أمر أنطاكية، ثم سار مدداً لـ (سُراقة بن عمر)، وعاد إلى الشام، فكان يغزو الروم أيام ولاية معاوية بن أبي سفيان، ر ضي الله عنه. ثم سار إلى أذربيجان لإخضاعها مرةً أخرى أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه. وولي أمر أرمينيا، كما تولّاها مرةً أخرى أيام معاوية، رضي الله عنه، وتوفي فيها سنة ٤٢ هـ.

(٢) كرمان: منطقة واسعة تقع جنوب شرقي إيران، وتمتد حتى مياه البحر.

(٣) سهيل بن عدي الخزرجي: أسلم سهيل قبل معركة بدرٍ، وشهدها مع المسلمين، كما شهد الغزوات كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبذا يكون له شرف الصحبة والجهاد تحت راية رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما كان في عداد جيش أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، إلى الشام، كما اشترك في حروب الرِّدة، وفتح العراق والجزيرة، وأخيراً فتح كرمان.

(٤) مكران: منطقة في إيران على ساحل خليج عُمان إلى الجنوب من منطقة كرمان، وتمتد إلى باكستان.

٦- سار الجيش السادس نحو مكران بقيادة الحكم بن عمير التغلبي[١]، وقد استطاع بسبب الإمدادات التي جاءته من كرمان بقيادة سهيل بن عدي، وذلك سنة ٢٣ هـ، من الفتح.

أما اللواء السابع فكان لواء اصطخر[٢]، ويقوده عثمان بن أبي العاص الثقفي[٣]، وإن كان إقليم فارس قد تعددت القيادات في فتحه، وحمل الرايات عدد من الصحابة، رضوان الله عليهم، وكذا بالنسبة إلى أقليم الجبال، وإن كانت نهاوند هي القاعدة الأساسية له، ثم مدينة الريّ، وقد فُتحتا مع همدان منذ البداية.

أما منطقة الأهواز فتُعدّ تتمةً للسهل العراقي، وإن كانت النواحي الطبيعية لا علاقة لها، ولا قيمة لها لانتشار الأمم، إذ كانت العراق تُعدّ المركز الرئيسي للفرس وإيوان كسرى كما كان في المدائن، وقد فُتحت الأهواز للمرة الثانية سنة ١٧ هـ وذلك قبل معركة نهاوند التي كانت سنة ٢١ هـ والتي انساح المسلمون إثرها في بلاد الفرس.

---

(١) الحكم بن عمير التغلبي: حصل على شرف الصحبة، ولم يحصل على شرف الجهاد تحت لواء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قاد الجيش المتجه نحو كرمان بعد معركة نهاوند.

(٢) اصطخر: أقدم مدن فارس، وهي مركز ملك فارس، تقع شمال شرقي مدينة شيراز على بُعد ستين كيلو متراً منها. وهي اليوم أطلال.

(٣) عثمان بن أبي العاص الثقفي: أسلم في السنة التاسعة للهجرة مع وفد ثقيف، وأمّره رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عليهم رغم أنه كان أصغرهم سناً، وبقي على الطائف حتى أرسله الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، على البحرين، وحمل لواء اصطخر، واستطاع فتحها وفتح شيراز، وأرجان بمساعدة أبي موسى الأشعري الذي جاءه مدداً. بل أنه حاول فتح منطقة السند. وبقي والياً على البحرين حتى سنة ٢٨ هـ، ثم انتقل بعدها إلى البصرة حتى وافته منيته سنة ٥٥ هـ، وكان قد اعتزل الفتنة،ويُعدّ من رواة الحديث، إذ روى ٣٩ حديثاً.

وهكذا تمّ فتح الأراضي التي تقع ضمن دولة إيران اليوم كلها ولم تنتهِ حياة الخليفة الراشدي الثاني، رضي الله عنه، بعد، وإذا كانت بعض المناطق قد نقضت عهدها بعد وفاة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلا أن إخضاعها لم يتطلب جهداً كبيراً ولا وقتاً طويلاً، إذ لم تلبث أن عادت إلى عهدها، واستقرّت الأوضاع فيها تابعةً الحكم الجديد، فأصبحت ضمن أجزاء الدولة الإسلامية وبصورة نهائية.

والأمر الذي يُلفت الانتباه إنما هو تقدّم هذه الفتوحات بهذا الشكل السريع والذي لم يكن ليتمّ بهذه الصورة لو كان وضع المسلمين بغير الوضع الذي كانوا هم فيه.إذ لم يكونوا ليفكّروا بالدنيا إلا بمقدار ما تُبلّغهم الآخرة، فكانوا يُقبلون على القتال بإقدامٍ قويٍّ، إقدام الذين يطلبون الموت ليحصلوا عليه فينالوا الشهادة في سبيل الله، أو ينتزعون من الأعداء الحياة فيُحقّقون النصر ويعيشون أعزاء، وقد تخلّصوا من طواغيت الأرض، ودفنوا ظلمهم واستعبادهم للبشر. هذا الإقدام كانت تنقطع له قلوب الأبطال من الأعداء فيولّون الأدبار، ويتشتّت شملهم، فكم من رجلٍ مسلمٍ دخل صفوف أعدائه وهم ألوف وظلّ يُقاتل حتى يخرج من الطرف الآخر، ولا يفتر لسانه عن ذكر الله، ولا يُبالي أُصيب أم بقي حيّاً بل ربما إصابتُه هي المطلوبة لديه. وما هذا الإقدام إلا للحصول على الشهادة وإرضاء الله بالجهاد.

وكان الخليفة يسأل عن كل جنديٍ، ويعرف حركات كل واحدٍ، وجهاد كلّ فردٍ وإقدام كل مسلمٍ. فهو وإن كان يعيش عن بُعد آلاف الأميال من ساحات القتال إلا أنه كأنه على مقربةٍ منها يقود المعركة بنفسه، ويراها كأنه يُشرف عليها من علٍ أو ينتقل بين أفراد الكتيبة. وقيمة كل مسلمٍ لا تُقدّر

بثمنٍ، ولا يمكن أن تُوصف فهو الأخ في الحياة، والساعد الأيمن في الجهاد، والابن في السلم، والرفيق في الآخرة، إضافةً إلى هذا كله فهو المسؤول عنه يُحاسب عليه، وبهذه المسؤولية وحب القيام بها ينال الجنّة وهي أسمى الأماني وغاية كل مسلم. بهذا السلوك وبهذه الطريقة تمّت الفتوحات، ودانت فارس للإسلام، وانحنت رؤوس العالم: أمام الحق من قَبِل به، وأمام القوة من أبى.

دخل شعب فارس في الإيمان لما رأى من صدق المسلمين والأخوة القائمة بينهم، والمحبة السائدة عندهم، والنصر الكبير الذي أحرزوه، وما كان هذا النصر إلا بتأييدٍ من الله العزيز الحكيم لصدق إيمان المجاهدين ولإعطاء الموعظة لخلقه كي يعتبروا، ويُسلّموا أمرهم لله، ويؤمنوا، ألا فاعتبروا يا أولي الألباب فإن لكل عملٍ حساب، وهناك جنّة ونار، جنّة للمؤمنين الصادقين، ونار للكافرين المعرضين الضالّين.

آمن الشعب الفارسي إذ أحب رضاء الله عليه، وأمل بالفوز في الآخرة، وبالأصل ليس له أطماع في هذه الدنيا إلا قليلاً.

أما كبار طلاب الدنيا فقد رأوا أن مكانتهم قد ضاعت، وأن سلطانهم قد زال، وأن وراءهم من المال والمتاع قد قلّ لذا بقوا على عقيدتهم المجوسية النار تتفطّر قلوبهم ألماً مما أصابهم، وممن دخل عليهم، ومن شعبهم الذي ابتعد عنهم، وترك ناره ومجوسيته، يُفكّرون بألمٍ، وينظرون حيارى بذهلٍ، ويتحرّكون بمرارةٍ وغلظةٍ، وهؤلاء هم: الأكاسرة حكام البلاد سابقاً، والدهاقنة سادة المجوسية وعبادة النار، وقد كانوا يتحيّنون الفرص ليُؤدّوا دورهم في تحطيم الدولة الإسلامية العظيمة التي ضمّت أراضيهم إلى أراضيها، وقد أخذتهم العزّة بالإثم وهالهم زوال الطاغوت وانتهاء عبادة

النار. وعلى الرغم من أن هؤلاء كانوا قِلّة إلا أن دورهم كان كبيراً لأنهم من أصحاب الحركة، ويُزيّنون للناس أعمالهم، ويستطيعون جذب بعضهم إليهم لمكانتهم السابقة، وقد ضلّوا في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً.

كان عمل الشّر الأول الذي قام به هؤلاء الرافضين للحق هو قتل الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب، رضي الله عنه؛ على يد أبي لؤلؤة المجوسي الأصل، الرومي الدار، وهو غلام المغيرة بن شعبة[1].

كان المغيرة بن شعبة أمير الكوفة قد طلب من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أن يسمح لغلامه (فيروز) ويُدعى (أبو لؤلؤة) بدخول المدينة المنورة للعمل فيها خدمةً للمسلمين، فهو رجل ماهر يُجيد عدداً من الصناعات التي تُفيد المجتمع، وتخدم الأمة، فهو حدّاد، ونقّاش، ونجّار، فأذن له عمر، رضي الله عنه، وكان أبو لؤلؤة خبيثاً ماكراً، يضمر حقداً، وينوي شرّاً، يحنّ إلى المجوسية ولا يستطيع إظهارها، يمتلىء قلبه عصبيةً ولا يمكنه إبداءها، ويحقد على أمير المؤمنين حقداً كبيراً، فكان إذا نظر إلى الصغار من السبيّ يأتي إليهم فيمسح رؤوسهم ويبكي، ويقول: أكل عمر كبدي. وكان ينوي الشرّ للخليفة .ويتحيّن الفرص لتنفيذ ما تحمل نفسه من

(١) المغيرة بن شعبة: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر من مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب، وقادتهم، وولاتهم، ولد سنة عشرين قبل الهجرة في مدينة الطائف، ذهب أيام الجاهلية إلى الاسكندرية وافداً على (المقوقس) ثم رجع إلى الحجاز، أسلم سنة خمسٍ للهجرة، وشهد الحديبية، واليمامة، وفتوح الشام، وذهبت عينه في معركة اليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. ولّاه الفاروق عمر، رضي الله عنه، على البصرة، ففتح عدة بلدان، وعزله ثم ولّاه الكوفة، وأقرّه عثمان، رضي الله عنه، على الكوفة، ثم عزله.

شرٍ،ويراقب أمير المؤمنين وانتقاله وأفعاله، ويبدو أنه قد وجد أن قتل الخليفة أثناء الصلاة هو أكثر الأوقات المناسبة لذلك، حيث يستطيع أن يأخذه على غفلة منه، ويغدر به دون مواجهةٍ.وكان عمر، رضي الله عنه، إذا مرّ بين صفوف المصلين قال: استووا، حتى إذا لم يرَ فيها خللاً تقدّم فكبّر، ودخل في الصلاة.

فلما كانت صلاة فجر الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة من السنة الثالثة والعشرين من هجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وفعل عمر، رضي الله عنه، كعادته، وما أن كبّر حتى سُمع يقول: قتلني الكلب، وقد طعنه أبو لؤلؤة ست طعناتٍ، وهرب العِلج بين الصفوف، وبيده سكين ذات طرفين لا يمرّ على أحدٍ يميناً أو شِمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ما يزيد على النصف، فلما رأى عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، ذلك ألقى عليه بُرنُساً له، وأحسّ أبو لؤلؤة أنه مأخوذ لا محالة لذا فقد أقدم على الانتحار بالسكين ذاتها التي طعن بها الفاروق عمر، رضي الله عنه. وجاء عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، ليرى ما حلّ بالخليفة فوجده صريعاً، وعليه ملحفة صفراء قد وضعها على جرحه الذي في خاصرته ويقول: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

وأخذ الفاروق بيد عبد الرحمن، رضي الله عنه، فقدّمه للصلاة. وفقد الفاروق بعد ذلك وعيه، أما عبد الرحمن فقد صلّى بالناس صلاةً خفيفةً. وقد رأى هذا من كان على مقربةٍ من مكان الإمام، أما الذين كانوا في نواحي

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٨.

المسجد فإنهم لم يعرفوا الذي جرى، وإنما افتقدوا صوت الخليفة الفاروق، فجعلوا يقولون سبحان الله.. سبحان الله.. حتى صلّى عبد الرحمن فانقطع صوت التسبيح.

فلما أفاق الفاروق، رضي الله عنه، من غيبوته، قال: أصلّى الناس؟ وهكذا لم ينقطع تفكيره بالصلاة رغم ما حلّ به. قال عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، نعم، قال عمر: لا إسلام لمن ترك الصلاة. ثم دعا بوضوءٍ فتوضأ وصلّى، وإن جرحه لينزف.

ثم احتمل الفاروق، رضي الله عنه، إلى بيته، فقال لابن عباس، رضي الله عنه، وكان معه: اخرج فَسَلْ مَن قتلني؟ فخرج فقيل له: طعنه عدوُّ الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شُعبة، ثم طعن رهطاً معه، ثم قتل نفسه. فرجع ابن عباس وأخبر الفاروق بذلك، فقال الفاروق: الحمد لله الذي لم يجعلْ قاتلي يُحاجُّني بسجدةٍ سجدها له قطّ.

وخشي عمر، رضي الله عنه، أن يكون عليه ذنب للناس لا يعلمه، وقد طُعن من أجله، فدعا ابن عباسٍ، وقال له: أُحب أن تعلم لي أمر الناس، فخرج إليهم ثم رجع فقال: يا أمير المؤمنين، ما أتيت على ملأٍ من المسلمين إلا يبكون، فكأنما فقدوا اليوم أبناءهم.

وجيء للفاروق، رضي الله عنه، بطبيبٍ من الأنصار فسقاه لبناً فخرج اللبن من الجرح، فاعتقد الطبيب أن حياة الفاروق قد انتهت، فقال: يا أمير المؤمنين اعهدْ. فبكى القوم لما سمعوا ذلك. فقال عمر، رضي الله عنه،

لا تبكوا علينا، من كان باكياً فليخرج، ألم تسمعوا ما قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ يُعَذَّبُ المَيِّتُ ببكاء أهله عليه.

وكان عمر، رضي الله عنه، يخشى مما هو قادم عليه، فالمؤمن بين الخوف والرجاء، يخاف عمر، رضي الله عنه، أن يكون قد قصّر بحق الرعيّة ومسؤوليته، ويقول لمن كان حاضراً: "وما أصبحت أخوف على نفسي إلا بإمارتكم هذه".

وكان عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، يريد أن يطمئنه، ويُخفّف عنه، فَيُذكّره بمكانه عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعند أبي بكرٍ، رضي الله عنه، وأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد بشّره بالجنّة، فكان عمر، رضي الله عنه، يقول: "والله لوددت أني نجوت منها كفافاً لا عليّ ولا لي"، "والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجْرَ ولا وزرَ".

وقال له ابن عباس، رضي الله عنهما: لقد كان إسلامك عِزّاً، وإمارتك فتحاً، ولقد ملأت الأرض عدلاً. فقال عمر، رضي الله عنه: أتشهد لي بذلك يا ابن عباس؟ قال عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، لابن عباس: قل نعم وأنا معك.

وطلب عمر، رضي الله عنه، من ابنه عبد الله أن يفي ما عليه من الديون. ثم أرسله إلى أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، يستأذنها في أن يُدفن بجانب صاحبه (رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، رضي الله عنه)، وقال له: قل لها: يقرأ عليك عمر السلام – ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه، فمضى عبد الله، فسلّم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدةً تبكي، فسلّم عليها وقال: يقرأ

عليك عمر السلام، ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أُريد المكان لنفسي ولأُوثِرَنَّهُ به اليوم على نفسي.

وبقي عمر، رضي الله عنه، ثلاثة أيامٍ بعد طعنه، ثم توفي يوم الأربعاء لأربعٍ بقين من شهر ذي الحجة سنة ثلاثٍ وعشرين للهجرة، وقد غسّله وكفّنه ابنه عبد الله، وصلّى عليه صهيب.

واتُّهم الهرمزان في قتل أمير المؤمنين عمر، رضي الله عنه، مع أبي لؤلؤة، وكان الهرمزان قائد منطقة الأهـواز وأميرها، وقد أسـره (أبو سبرة بن أبي رُهم)[1] بعد أن نقض العهد، وحمله إلى المدينة المنورة أسيراً الأحنف بن قيس وأنس بن مالك.

(١) أبو سبرة بن أبي رُهم: ابن عمّة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بَرّة بنت عبد المطلب. هاجر إلى الحبشة، وكانت معه زوجته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، وهاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما كان في جيش أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، آخر جيشٍ جهّزه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولم ينطلق إلا بعد وفاة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم قاتل أبو سبرة المرتدين، واشترك في الفتوح، وتوفي سنة ٣٥ هـ في مكة.

الأكاسرة والدهاقنة

ذكرنا أن الشعب الفارسي قد آمن ودان بالإسلام بعد أن دخل المسلمون بلاد فارس فاتحين، أما الأكاسرة والدهاقنة فلم يقبلوا الإسلام، ولم يدخل الإيمان إلى قلوبهم إذ رأوا أن مكانتهم قد ضاعت، وأن سلطانهم قد زال، وأن ما كان يأتي من مالٍ لقاء مُهمّتهم قد انقطع لإبعادهم عما كانوا يقومون به من مُهمّة، ولذا احتفظوا بعقيدتهم السابقة وهي المجوسية وعبادة النار، وقرّروا بأنفسهم القيام بحركاتٍ في المستقبل يمكنها الانتصار على المسلمين، واستعادة السلطان. ولكنهم وجدوا أنفسهم بعد مدةٍ أنهم قد انفصلوا عن شعبهم الذي أصبح مسلماً من أبناء الأمة الإسلامية، ويُرتبط بدولتها التي تتبعها بلاد فارس. وهذا يعني أنه ليس لهم أعوان ومُؤيدون وبذا لا يمكنهم القيام بأيّة حركةٍ مهما بذلوا من جهدٍ، ولو أنهم جازفوا بذلك وتحرّكوا لفشلوا فشلاً ذريعاً بل لضحّوا بأنفسهم وبكل من استطاعوا كسبه إليهم.

خطر على فكرهم رأي خبيث وهو إظهار الإسلام باللسان مع البقاء قلباً وفكراً على ما هم عليه، مع التخطيط لمحاربة المسلمين، والعمل على إخراجهم من بلاد فارس مع الشائعات والإثارة لحرب عقيدتهم. ورأوا أن إظهارهم

للإسلام يُعينهم على إقامة صلةٍ حسنةٍ مع شعبهم المسلم فيمكنهم بذلك استغلال أفراد الشعب وكسبهم إلى جانبهم.

أظهر الأكاسرة والدهاقنة الإسلام بألسنتهم، وأبدوا شيئاً من الهدوء، وإعادة الصلة مع أفراد شعبهم، والمعاملة الحسنة، والاطمئنان إلى قدوم المسلمين وكل ما جرى.

لكن حرب أدعياء الإسلام على المحافظة على العصبية الفارسية والالتزام بها، ومنها المحافظة على الأسماء الفارسية، وبذلك يمكن معرفة من يسير على خطّهم، ويرى رأيهم. ويمكن أن نأخذ مثلاً على ذلك الدولة البويهية التي سيطرت على الخلافة العباسية سنة ٣٣٤ هـ أي بعد ٣٢٠ سنة (ثلاثمائة وعشرين سنة) من بدء إظهارهم الإسلام، وأن جميع أبناء وحَفَدَةِ كسرى (يزدجرد) الذي قُتل أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، والذين تتابعوا حتى سيطرة بني بويه (أبناء بويه أبي شجاع) رغم أنهم يُظهرون الإسلام بقيت أسماؤهم مجوسيةً، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على معاداة الإسلام الذي يدّعونه.

سابور ذو الأكتاف
|
سابور
|
يزدجرد
|
بهرام
|
سنباد
|
شيرزيل
|
فيروز
|
سيس
|
سيسان شاه
|
شيرويه
|
شيران شاه
|
شيرزيل الأكبر
|
شير كيده
|
شيرزيل الأصغر
|
كوهي
|
تمام
|
فناخرو
|
بويه أبو شجاع

ولكن كانوا إذا أرادوا أن يُؤدّوا دوراً في ديار الإسلام خارج فارس يُسمّون أسماءً إسلاميةً، ولكن لا يستطيعون فِعل هذا في ديارهم لمعرفة الناس بهم، ويمكن أن نأخذ مثلاً في بني بويه أنفسهم، فهم عندما أرادوا أن يلعبوا الدور في السيطرة على الخلافة الإسلامية، في بغداد أعطى بويه نفسه لأبنائه أسماءً إسلاميةً إذ سمّى: علي، الحسن، أحمد.

بويه " أبو شجاع"

علي " أبو الحسن"	الحسن " أبو علي"	أحمد " أبو الحسين"
عماد الدولة	ركن الدولة	معزّ الدولة

بدأ دور التمثيل فانتقل "بويه" إلى بلاد الديلم، وبدا الفقر على بويه فكان يصيد السمك، ويحتطب، ويعمل أبناؤه بنقل الحطب، ثم انتقل إلى جوار الديلم، وأطلقوا على أنفسهم "الديالمة" وذلك لأن كل من يريد أن يلعب دوراً لا بدّ له من أن يُغيّر موطنه لإخفاء الجذور التي ينتمي إليها، ولبعض المعاني الأخرى.

انتقل الأخوة الثلاثة إلى طبرستان في شمالي إيران جنوب بحر الخزر، وقدّموا أنفسهم إلى ملك طبرستان (ماكان بن كالي)، وعملوا في خدمته. وتسّلط (مرداويج) على المُلك، فضعف أمر مُلك (ماكان) فتشاور أبناء بويه في مفارقته حتى يكون من أمره ما يكون، فابتعدوا عنه ومعهم بعض الأمراء،

وساروا إلى (مرداويج) فأكرمهم، واستعملهم على الأعمال في البلدان. فأعطى علي بن بويه (عماد الدولة) جزءاً من منطقة الكرخ، فأحسن فيها السيرة، والتفّ حوله الناس وأحبّوه، فحسده (مرداويج) وبعث إليه بعزله عنها، ويستدعيه إليه، فامتنع من القدوم عليه، وسار إلى أصبهان، فحاربه نائبها، فانتصر عماد الدولة، وهزم صاحب أصبهان هزيمة منكرة، وكان معه سبعمائة فارسٍ فانتصر على عشرةِ آلاف فارسٍ فعظُم في أعين الناس، فلما بلغ ذلك (مرداويج) قلق منه فأرسل إليه جيشا فأخرجه من أصبهان، فقصد أذربيجان، وأخذها من أميرها، وحصل على كثيرٍ من الأموال، ثم استولى على عددٍ من البلدان فاشتهر أمره، وارتفعت سُمعته، فقصده كثير من الناس، واجتمع عنده عدد كبير من الجند، ولم يزل يتسع سلطانه، حتى آل الأمر به وبأخويه إلى أن ملكوا بغداد من أيدي العباسيين، وصار لهم فيها الأمر والنهي، وتُجبي إليهم الأموال، ويرجع إليهم الأمر في سائر الأمور والأحوال[1].

كان كبير بني بويه علي أبو الحسن (عماد الدولة) يحكم منطقة فارس، وهو أمير الأمراء، وكان أخوه الحسن أبو علي (ركن الدولة) يحكم الريّ، وهمدان، وأصبهان. وكان أخوه الآخر، وهو أصغرهم أحمد أبو الحسين (معزّ الدولة) باسم أخيه عماد الدولة ونيابةً عنه يحكم العراق والأهواز، وكرمان. وكان فيهم تعسّف شديد، ومغالاة كبيرة في إظهار محبة الطالبيين (محبي الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه)، ولكن كان ذلك باللسان دون القلب ومن غير محاولةٍ لتقليد السلوك، وفعل الخير.

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير.

وأقبل أحمد أبو الحسين (معز الدولة) بن بويه في جحافل من الجيوش قاصداً بغداد سنة ٣٣٤ هـ في خلافة المستكفي بالله العباسي، فلما اقترب منها بعث إليه الخليفة المستكفي بالله الهدايا، وقال للرسول الذي أرسل إليه: أخبره أني مسرور به وبقدومه كثيراً، وأني إنما اختفيت من شرّ الأتراك الذين انصرفوا إلى الموصل، وبعث إليه بالخلع والتّحف، ودخل معزّ الدولة بغداد في شهر جمادى الأولى من سنة ٣٣٤ هـ، فنزل بباب الشماسية، ودخل من الغد إلى الخليفة فبايعه.

وبعدئذٍ جاء الخليفة المستكفي بالله، ودخل عليه، ولقّبه بـ (مُعِزّ الدولة)، ولقب أخاه عليّاً أبا الحسن عماد الدولة، وأخاه الحسن أبا عليّ ركن الدولة، وكتب ألقابهم على الدراهم والدنانير، ونزل مُعِزّ الدولة دار مُؤنس الخادم، ونزل أصحابه من الديلم في دور الناس، فلقي الناس منهم ضائقةً شديدةً. وأعطى معز الدولة لابن شيرزاد مالاً، ثم جعله على الخراج. ورتّب للخليفة المطيع نفقاته - خمسة آلاف درهمٍ كل يومٍ - واستقرّت الأمور على هذا.

استمرّ سلطان البويهيين على بغداد حتى سنة ٤٤٧ هـ حيث استطاع طغرل بك كبير السلاجقة من دخول بغداد يوم الإثنين لخمسٍ بقين من شهر رمضان سنة ٤٤٧ هـ، وقضى على سلطان البويهيين. ويمكن معرفة حقيقة البويهيين من معرفة الذين سيطروا على أجزاء من البلدان الإسلامية أيام سيطرة البويهيين على الخلافة العباسية في بغداد.

١ - سيطر السامانيون على مشرق البلاد الإسلامية أيام سلطان البويهيين. وينتسب السامانيون إلى أحد رجالات الفرس، واسمه: (سامان)، وقد بقيت هذه الأسرة على مجوسيتها رغم إسلام شعبها، ورأى سامان نفسه وسط مجتمعٍ

مخالفٍ له في العقيدة، ورأى أنه إذا بقي على عقيدته السابقة بقي منبوذاً وسط مجتمعه لذا أظهر الإسلام بلسانه ولكنه بقي مرتبطاً بالمجوسية، وتبعته أسرته بكاملها، وقد زاد عددها وتكاثر.

ولما رأى السامانيون قوة الدعوة العباسية، انحازوا إليها، وتركوا الصلة مع الطالبيين والعمل معهم وما ذلك حبّاً بالعباسيين ولا كرهاً بالطالبيين. فالكل عندهم سواء من جهة العداوة، الطالبيون والعباسيون والأمويون عندهم سواء ما داموا مسلمين، فالعداوة للإسلام والانحياز لطرفٍ ضدّ آخر إنما هو تخطيط لإحداث الفتنة وإضعاف الأمة.

أخذ السامانيون مبدأ الإسماعيلية سنة ٣٣١ هـ، واتخذوا ذلك عقيدةً لهم.

٢ - الحمدانيون: وتعود أُسرتهم إلى حمدان بن حمدون بن الحارث التغلبي الوائلي، وأول من ظهرمن هذه الأسرة الحسين بن حمدان سنة ٢٨٣ هـ. وكان الحمدانيون يُظهرون العاطفة نحو الطالبيين، فلما سيطر البويهيون على بغداد سنة ٣٣٤ هـ قوي عند الحمدانيين إظهار التّوجه نحو الطالبيين، وازداد الارتباط مع البويهيين، وكانوا من أبناء عقيدةٍ واحدةٍ. وقد سيطر الحمدانيون على بلاد الشام.

٣ - العبيديون: وقد سيطروا على شمالي إفريقية، وهم ينتسبون إلى عبيد الله ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان اليهودي. ويدّعون الانتساب إلى عبيد الله بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، لذا يدعون الانتساب إلى فاطمة ابنة رسول الله، صلى

الله عليه وسلم، ويُسمّون أنفسهم الفاطميين نسبةً إلى فاطمة رضي الله عنها. وهذا الادّعاء باطل.

وأخيراً قضى على العبيديين الناصر صلاح الدين الأيوبي (يوسف بن أيوب) سنة ٥٦٩ هـ.

٤ً- القرامطة: وتُنسب إلى "قُرمط" وهو حمدان بن الأشعث، فأصبحت كلّ حركةٍ تحمل فكرته تُنسب إليه، وتعتمد فكرته على استباحة الفروج والأموال، وقد نشأ عدد من الأفراد، حملوا أفكار قُرمط، وقادوا حركاتٍ، ومنهم الحسن بن بهرام الذي حمل اسم "أبا سعيد الجنّابي"ويعود في أصله إلى بلدة "جنّابا" قرب مدينة "سيراف" في بلاد فارس، وقد استطاع أن يُسيطر على أجزاء من جزيرة العرب.

وهكذا سيطر أصحاب الأفكار القريبة مما يحمله البويهيون على أكثر البلاد الإسلامية، وذلك أيام سيطرة البويهيين على الخلافة العباسية.

سيطر السامانيون على شرقي البلاد الإسلامية.

وسيطر الحمدانيون على بلاد الشام.

وسيطر القرامطة على جزيرة العرب.

وسيطر العبيديون (الفاطميون) على شمالي إفريقية.

في بلاد فارس

أظهر الأكاسرة والدهاقنة وكبار أعوانهم الإسلام، وأبطنوا ما كانوا عليه، وبدأوا يشيعون الشائعات ويدسّون الدسائس.

ادّعى هؤلاء أن الخلاف كان على أشدّه بين المهاجرين والأنصار من أجل الخلافة، وما اجتماع سقيفة بني ساعدة إلا بسبب ذلك الخلاف. وإن كان الواقع يُكذّبهم إذ ما التقى المهاجرون والأنصار حتى حدث الوفاق، وساد الوئام، وتمّت البيعة. وما خرجوا من الاجتماع إلا وقد نُسي الأمر، وكانت الأُخوّة.

وادّعى هؤلاء أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد أوصى بالبيعة إلى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، غير أن المنهج الإسلامي الذي يقوم على الشورى، ولا يقبل الوصيّة أبداً يُكّذبهم. فالخلافة لا تُورّث، ولا يُوصى بها، كالنبوة لا تُورّث، ولا يوصى بها.

ولما رأى هؤلاء الضّالّون مخالفة قولهم للمنهج الإسلامي وضعوا لأنفسهم منهجاً مخالفاً للمنهج الرّباني، وهذا المنهج هو"الوصاية" لنظام الولاية للعهد. ثم انتبهوا إلى مُخالفة ذلك المنهج الذي من عند الله. وهذه المخالفة طعن برسول

الله، صلى الله عليه وسلم، إذ لم يُؤدِّ الأمانة، ولم يُبلّغ الرسالة حيث لم يُبلّغ منهج الوصاية. كما أن ذلك طعن بصحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذين سكتوا عن كتمان ذلك، رضي الله عنهم، ومن بينهم علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، إذ هو من كبار الصحابة وأوائلهم، كما أنه ابن عمّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، ومن المبشّرين بالجنّة.

وإن الطعن برسول الله، صلى الله عليه وسلم، كفرٌ صريحٌ، والطعن بالصحابة فسوق، ووضع الشّكّ بالإسلام كفر به، فمن يفعل ذلك فهو عدوّ مُبين للإسلام وإن حمل اسمه وتسترّ به أو سار في ظلّه، أو رفع شعاره على أنه من أهله ويعمل له، وما ذلك إلا لإخفاء عداوته، وتمويه أعماله، وتغطية حقيقته عسى أن يستطيع إعمال معوله في الهدم أكثر.

لقد طعن هؤلاء بأصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جميعاً لم يستثنوا سوى ستةٍ منهم، وهم: علي بن أبي طالب، وسلمان الفارسي، وعمّار ابن ياسر، وأبو ذرّ الغفاري، والمقداد بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، رضي الله عنهم جميعاً. وما هذا الاستثناء إلا عصبيةً لبعضهم، أو اتخاذ بعضهم درعاً يتّقون بهم، ويتظاهرون أنهم من المسلمين. بل جعلوا من أحدهم إماماً وهو علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ونسبوا إليه أعمالاً ترفعه فوق مستوى البشر، ليبقى الطعن بالإسلام عن طريق الذي يدّعون محبّته، وفي الوقت نفسه يكونون قد أخفوا قصدهم، غير أن هذا الصحابي الجليل، رضي الله عنه، قد نثر هذه الأفكار الكافرة.

إن من أكبر الذين بذروا الشرّ بالأكاذيب والادّعاءات الكافرة إنما هو اليهودي عبد الله بن سبأ(١) الذي أظهر الإسلام وقلبه مملوء حِقداً وكراهيةً للإسلام وأهله، ولعل أكبر الحقد والكره يحمله على نبيّ الله، صلى الله عليه وسلم، وأهله وأولهم عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، لمكانة جهاده في سبيل الله، وتضحيته، وقرابته من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم على صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بل وعلى المسلمين جميعاً.

وإن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، عندما تمكّن من عبد الله بن سبأ قتله حرقاً بالنار فهو إذن بريء منه ومن أفكاره. كما أن الذين يحملون تلك الأفكار بُرآء من ذلك الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، وإن ادّعوا محبته ومحبة ذريته، وما هذه المحبّة الظاهرة المصطنعة إلا للهدم بالإسلام من داخله، على أن كل انتماءٍ للإسلام - حسب مخطّطهم - هو باطل مهما كان الفكر الذي يحمله، بل إن مجرد الانتماء هو ضلال - قاتلهم الله أنى يؤفكون -.

---

(١) عبد الله بن سبأ: رأس الفرقة السبئية التي تقول بألوهية علي بن أبي طالب. أصل عبد الله ابن سبأ من اليمن، كان يهودياً، أظهر الإسلام وبقي على حقيقته وحقده. رحل إلى الحجاز، ومنها إلى البصرة فالكوفة، ودخل دمشق في عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فأخرجه منها أهلها، فرحل إلى مصر، وجهر هناك بها يفتري ويكذب. ومن ادّعاءاته: رجعة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى الحياة بعد الوفاة، فكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذّب برجوع محمدٍ. ولما بويع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بالخلافة قام إليه عبد الله بن سبأ، فقال له: أنت خلقت الأرض، وبسطت الرزق.فنفاه عليّ، رضي الله عنه، إلى المدائن حيث القرامطة وغلاة الرافضة. وكان يُقال له: (ابن السوداء) لسواد أمه. وتزعم السبئية: أن علياً، رضي الله عنه، حيّ في السحاب. وإذا سمعوا صوت الرعد، قالوا: غضب عليّ. وقال: ابن حجر العسقلاني: إن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، قد أحرقه بالنار لكفره وذلك في أوائل سنة ٤٠ هـ.

كان هؤلاء الأدّعياء يُوجّهون سهامهم إلى كل رجلٍ عظيمٍ قاد الأمة الإسلامية، وأذلّ أعداءها، ورفع لواء الإسلام، وكلما كان الرجل المسلم أكبر مكانةً وأكثر صحبةً كان تسديد السهام إليه أشدّ، وتوجيه نحوه أكثر، والافتراءات عليه أكبر، ولم تكن الرغبة من الإشاعة سوى إثارة الفتنة.

أشاع هؤلاء الذين أظهروا الإسلام بألسنتهم فقط، ولم يدخل قلوبهم أن أبا سفيان صخر بن حرب قد حرّض العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب على منازعة أبي بكر الصدّيق الخلافة، وهذا كذب وافتراء.

وأشاع الذين أظهروا الإسلام بألسنتهم أن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، قد تأخّر في بيعة أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه، حتى وفاة زوجته فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، ابنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وهذا أيضاً كذب وافتراء.

كان هؤلاء الذين أظهروا الإسلام بألسنتهم يطعنون بالخلفاء الراشدين أبي بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم، مع أنهم من الخلفاء الراشدين، ومن كرام صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومن العشرة المُبشَّرين بالجنّة وفي الوقت نفسه كانوا يكيلون المدح الجزيل إلى الخليفة الراشدي الرابع، وهو أحد العشرة المبشّرين،وابن عمّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فاطمة الزهراء، رضي الله عنها. ويُعطونه صفاتٍ فوق مستوى البشر، وما ذلك إلا للفتنة، وإيقاع الخلاف بين المسلمين.

ثم رأى الذين يظهرون الإسلام بألسنتهم وهم أعداؤه أن مدح الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، والثناء عليه كثيراً يُفيد منه

المسلمون، وترتفع راية الإسلام، وإن كانت فئة قليلة لا ترغب ذلك حرصاً على مصلحتها، وتثبيتاً لدعوتها ومكانتها لذا رأى الأعداء الادّعاء بأن المجتمع الإسلامي في الشام وولاة أمرهم من بني أمية يلعنون الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، على المنابر يوم الجمعة وهم يريدون الفتنة أولاً ثم الطعن في الخلفاء الراشدين جميعاً فيكون ذلك طعناً بالإسلام عامةً، وهذا هدفهم وغايتهم، إذ هم أعداؤه، ولكن كان تعظيم الخليفة الراشدي الرابع، رضي الله عنه، في سبيل كسب المسلمين إليهم، وبقاء الفتنة، وما ادّعاؤهم برفع مكانة ذلك الخليفة الراشدي الرابع آية صحةٍ أو حقيقة بل يكرهونه كبقية الخلفاء وبقية الصحابة بل وسائر المسلمين. بل كان -كما ذكرنا- كسب تأييد بعض المسلمين، ثم البقاء على الفتنة بين أبناء الأمة الإسلامية. وبعد مدّةٍ رأوا أن هذا الادّعاء يجمع بين المسلمين فيُحاربون الذين يلعنون الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل في بلاد فارس والذين يلعنون الخليفة الراشدي في الشام فتجتمع كلمة المسلمين، وهذا ما يُسيء إلى سكان بلاد فارس.

كما وجد هؤلاء الأعداء أن لعن الخليفة عليّ في الشام قد كُذّب من القادمين إلى بلادهم، ومن العائدين من رجالهم إلى بلادهم. ولكن من الأسف أن بعض العامّة كان قد دوّن هذا الخبر وردّده بعض العامة الذين خُدعوا حتى شاع وانتشر، وهو افتراء وكذب، ولا يمكن أن يكون ذلك في تلك الأيام ولذلك الصحابي الجليل.

ووجد الأعداء أن من المصلحة إلغاء ذلك فادّعوا أن الخليفة الأموي عمر ابن عبد العزيز قد أمر بمنع ذلك وإلغائه، وتناقل ذلك أيضاً بعض العامّة.

وعندما حدثت الفتنة بين المسلمين إثر مقتل الخليفة الراشديّ الثالث عثمان ابن عفان، رضي الله عنه، والذي كان فيه دور كبير لعبد الله بن سبأ اليهودي الذي ذكرناه. عندما حدثت هذه الفتنة انحاز الذين يُظهرون الإسلام بألسنتهم إلى جانبٍ لا حُبّاً فيه حقيقةً، ولا تأييداً له ونصراً، وإنما رغبةً في زيادة الفرقة والشقاق، وحبّاً في التفرقة والخلاف. وإن كان كثير من المسلمين في بقية البقاع بل أكثرها يرون ما هو قريب من هذا الرأي لما يرون في هذا الجانب وهو جانب عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، من الأحقِّيَّة والأهلية، ولماضيه من الدعوة وخدمته لها لا غير ذلك. ويرون أن الخلاف كان في وجهات النظر، ولكلٍ رأيه وهو على جانبٍ كبيرٍ من الصواب، وكلاهما صحابي جليل، ولكن هذا الرأي لا يُوافق عليه الغُلاة من الفرس.

ولما اشتدّ ساعد بني أُمية، وتمكّنوا من الأمر، وقامت الدعوة السّريّة لآل البيت والمطالبة بالحكم، وإزاحة بني أُميّة عنه كانت بلاد فارس مقرّ هذه الدعوة ومنبتها لا حُبّاً في آل البيت أيضاً، وإنما محاولة لتهديم أركان الدولة الإسلامية، إذ تبيّن عندما نجحت الدعوة وآل الأمر إلى العباسيين أن مساعدة الفرس لم تكن إلا لمآرب خاصّةٍ، وأغراضٍ شخصيةٍ، ومصالح محدّدةٍ، وغاياتٍ مرسومةٍ. وكانت هناك دوافع أخرى رأسها العصبية، وكانت نتيجة ذلك أن قُتل أهمّ دعاة العباسيين بالأمس القريب وهو أبو سلمة الخلاّل[1]، وأعقبه الداعية الثاني، القائد العباسي أبو مسلم الخرساني[1].

---

(١) أبو سلمه الخلّال: حفص بن سليمان الهمداني الخلّال، أبو سلمة. أول من لُقّب بالوزارة في الإسلام، كانت إقامته قبل ذلك في الكوفة، وأنفق أموالاً كثيرةً في سبيل الدعوة العباسية. وكان يَفِدُ إلى الحميمة – في أرض الشراة بالأردن – فيحمل كتب الإمام إبراهيم بن محمد بن علي إلى النقباء في خرسان. ولما استقام الأمر للخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح =

وقويت الدولة الأوربية، وأخذت تتجه نحو ديار الإسلام رافعةً الصليب شعاراً لها، وقد عُرفت الحملات التي قامت بدور القتال باسم "الحروب الصليبية"، وحولت الإفادة من انقسام المسلمين. وكانت قد ظهرت في بلاد فارس الدولة الصفوية سنة ٩٠٦هـ. وفي هذا الوقت كان البرتغاليون يلتفّون حول إفريقية، ويدخلون المحيط الهندي، وقد استغلّوا قيام دولة الصفويين الشيعية التي تقوم بين دولٍ غير شيعيةٍ فاتصلوا بها، وحصلوا على بعض التسهيلات، وفي سنة ٩١٣هـ كانت بأيديهم جزيرتا "هُرمز" و "قشم" في مضيق هرمز بين خليج عُمان وخليج هُرمز. وهذا ما جعل العثمانيين يُحوّلون وجهتهم من أوربا نحو الشرق، فقد هالتهم حركة الصفويين، وصعُب عليهم هذا الاتصال بين الأوربيين الذين يُحاربونهم والصفويين الذين يشتركون معهم في الحدود الشرقية. ووقعت المعارك بين الطرفين، واستطاع العثمانيون إحراز النصر في معركة "جالديران" سنة ٩٢٠هـ، ودخول مدينة "تبريز" عاصمة الصفويين، واحتلال أجزاء من إيران. ونقل الصفويون عاصمتهم إلى مدينة "أصفهان".

=استوزره، فكان أول وزيرٍ لأول خليفةٍ عباسيّ، وبعد أربعة أشهرٍ من استلام العباسيين الأمر اغتيل وذلك سنة ١٣٢ هـ، وقيل أن الاغتيال كان بسبب أهداف أبي سلمة السياسية.

(١) أبو مسلم الخراساني: عبد الرحمن بن مسلم، مؤسّس الدولة، وأحد كبار القادة، اتصل بالإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فأرسله داعيةً له إلى خراسان، فاستولى على نيسابور، وقتل واليها من قبل الأمويين، وسيّر جيشاً لقتال مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وانتصر عليه في معركة الزاب شرقي الموصل، وصفا الجوّ لأبي العباس السفاح، وقد بقي ساعده حتى مات، فلما ولي الخلافة أبو جعفر المنصور خافه فعمل على قتله، فقُتل سنة ١٣٧ هـ.

ولا تزال إلى الآن دول الاستعمار تحرص على الاستفادة من هذا التباين العقدي في المنطقة، وتستغلّ انفراد إيران بفكرها العقدي،وعصبيتها للفارسية، وخلافها التاريخي مع الجوار بسبب العقيدة والعصبية، وترسم المخططات، وإن كان ما تُعلنه يُخالف ما تُخطّط له.

ولا يزال أفراد من أبناء تلك البلاد يقومون بطباعة بعض الكتب القديمة ذات الفائدة أويكتبون كتباً جديدةً مفيدةً ويُضيفون دسيسةً واحدةً أو دسائس قلّةً وبأسلوبٍ غير صريحٍ تُثير ما كان من خلافٍ، وتطعن في كبار الجماعة التي كانت تُخالفها، وهذا ما يُشوّه تاريخ الأمة الإسلامية بتلك الدسائس والافتراءات. ولا يصحّ ذكر أمثلةٍ من ذلك لما يكون من أثر سيءٍ في المجتمع سواء من ناحية المنهج الإسلامي أم من ناحية إثارة الخلاف. وخاصةً أنه يتمّ طباعة عددٍ كبيرٍ من الكتاب الواحد وتوزيعه وتقديمه هدايا. ويُمكن التأمّل في كتب دور النشر التي يحمل أصحابها دعوة تلك الفئة، أو مؤلفات رجالٍ ينتمون إلى تلك المجموعة.

الخاتمة

وأخيراً فإننا نلاحظ مما قرأنا أن الهداية هي السير في طريقٍ مستقيمٍ لا التواء فيه ولا انحراف، ولا أكمات فيه ولا انزلاق، يحذر السائرون من الوقوع في عثرةٍ، ويخشون السقوط في هاويةٍ، فهم في حذرٍ دائمٍ، يرجون الهداية، ويطلبون الخير، وما داموا في خطٍ واحدٍ، ومنهجٍ واحدٍ فهم إخوة يحبّ أحدهم لأخيه ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لذاته، ويدعون الناس جميعاً لما يسيرون عليه، فمن لبّى الدعوة أصبح واحداً منهم له مالهم، وعليه ما عليهم، ومن أبى استمرّوا في دعوته، وجهدوا في نصحه، وأبانوا له طريق الخير ونهاية المسير، وهي إما فوز عظيم، وحياة نعيمٍ لمن سلك الطريق المستقيم الذي يسلكونه، وإما خسران مبين وحياة جحيمٍ لمن انحرف في الطريق، ورفض دعوة الحق إذ فقد بصره، وعمي قلبه، وأضاع سمعه فزلّت قدمه، وهوى في السعير، وبقي في الجحيم مادامت السموات والأرض إلا ما شاء الله.

وأما من رفع السيف وقاتل يريد الكبرياء، وأخذ حقوق الآخرين، والاستعلاء لنيل الشهوات، وفعل ما يشاء، فهذا يناله الذلّ في الدنيا، والاحتقار حيث سار، وله في الآخرة عذاب عظيم يصلاه في جهنم فبئس

المصير. وكذا شأن الذين يُظهرون القبول بألسنتهم، ويرفعون ذلك شعاراً، ويبقى راسخاً في قلوبهم ما ورثوه يلتزمون به، ويعملون على نشره، وهو افتراء وباطل - نعوذ بالله من الشر وأهله -.

نرجو من الله الهداية والاستقامة على طريق الخير، والدعوة إلى الحقّ بالسير على منهج الله الذي أنزله على أنبيائه ورسله مُبشّرين ومُنذرين....

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس

مقدمة ٥

قبل الإسلام ٧

أيام الإسلام ٩

الصراع في المنطقة ١٧

الأكاسرة والدهاقنة ٥٣

في بلاد فارس ٦١

الخاتمة ٦٩

فهرس ٧١